مواطن الإبداع في الأدعية السجادية

الباحثة
أمل لعيبي خشجوري العلياوي
المديرية العامة للتربية ـ محافظة البصرة
amuntaha88@yahoo.com

المقدمة:

الدعاء هو ذروة الكمال الانساني وبه يتحرر العبد من العلائق الدنيويه وهو الحلقه الرابطه بين وجود الانسان وبين البحر اللامتناهي للرحمه الربوبيه والترنم القدسي للدعاء يهب لارواح الوالهين بالله حلاوه وطراوه ويشعل في قلوب المحبين لأوليائه نور الهداية! هذا وان الصحيفة النوارنية التي نزلت من سماء العارف بالله والعقل النوراني سيد الساجدين لخلاص عباد الله من سجن الطبيعة وتفهيمهم ادب العبودية وهي تمثل قمه الابداع الروحي والبلاغي. وهناك الكثير ممن لا يعرفون عن الامام زين العابدين عليه السلام ومن خلال بعض القابه (السجاد) (وزين العابدين) غير انه رجل محراب فقط!

والدعاء ادب ديني مبارك على نسق رائع وجميل ولغة ثريه ومفاهيم غنية وبلاغة عبقرية وهذا الطريق البارع من طرق البيان اختص به النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام والامام زين العابدين قد زين دنيانا ودیننا بهذه الأدعية. اما الابداع فهو ايجاد الشيء من العدم. أو ايجاد شيء غير مسبوق بمادة أو زمان. فكيف إذا تعامل الامام عليه السلام مع ادعيته النوارنية والتي هي غاية في الدقة والعلمية والاصالة والرصانة بأبداع ليوصل لنا افكاره ورؤاه، وان عمليه الابداع السجادية تشهد في كل لحظه من لحظاتها ولاده جوهرة ذات قيمة انية اولؤلؤة معرفية عظيمة. ولنسمع صوته عبر العصور وهو يناجي ويبتهل ويدعو ويهمس مع الخالق الحنون. فالعمري والله ان لهذا نور على نور!!! وهذه الاثار الكاملة وهي الصحيفة السجادية ورساله الحقوق ورسالة في الزهد وتلك خطب ورسائل خاطب بها الامام ثلاث جهات فقد الامام عليه السلام الله سبحانه وتعالى في الصحيفة السجادية وخاطب المجتمع في رسالة الحقوق وخاطب الدنيا وما فيها في رسالة الزهد والصورة الكلية لتلك الرسائل قائمة على المضمون العقائدي والاخلاقي للدين ورساله خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله.

اتخذ الامام زين العابدين عليه السلام في حركته الإصلاحية للامه والتبليغ باسلوب الدعاء والتي جمعت بالصحيفة السجادية وتمثل هذه الأدعية من دور بناء ضروري في حياه الانسان وبناءه بناء انساني لما تحمله من اساليب ومعاني راقيه في دعاء المولى سبحانه وتعالى وبنفس الوقت هي دستور حياتي في المثل والاخلاق والفضائل يتربى على مبادئها كل انسان يريد الكمال وبلوغ الذروة في خط الإنسانية فقد اعتبرت هذه الصحيفة المنهج الواضح لبيان الاسس الحقه وطرق التقرب للمولى العزيز سبحانه وتعالى.

والحقيقة انه بعد واقعه الطف الاليمة والمفجعة وتملك بنو اميه ناصيه امر الأمة الإسلامية فقد اوغلوا في الاستبداد وولغوا في الدماء واستهتروا في تعاليم الدين. فبقي الامام علي بن الحسين عليه السلام جليس داره محزونا ثاكلا وجلس في بيته لا يقربه احد ولا يستطيع ان يفضي اليه الناس بما يجب عليهم وما ينبغي لهم ، فأضطر ان يتخذ من اسلوب الدعاء (وهو الطريقة التعليمية لتهذيب النفوس) ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وطريقه ال البيت ولتلقين الناس روحيه الدين والزهد وما يجب من تهذيب النفوس والاخلاق وهذه طريقه مبتكره له لا تحوم حولها شبهه المطاردين له ولا تقوم بها عليه الحجه لهم فلذلك اكثر عليه السلام من هذه الأدعية البليغة وقد جمعت بعضها في الصحيفة النوارنية السجادية ونظرا لأهميتها فقد سماها رجال الفكر والعلم (بأخت القرآن وانجيل اهل البيت وزبور ال محمد) وجاءت في اسلوبها ومراميها في اعلى اساليب الادب العربي وفي اسمى مرامي الدين الحنيف وادق اسرار التوحيد والنبوة واصح طريقه لتعليم الاخلاق المحمدية والآداب الإسلامية وهي بحق بعد القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة العلوي. وأيضاً تضمنت الأدعية السجادية المباركة جمله كبيره من الحقائق العلمية مما يكشف شموخ المقام العلمي لقائلها ومن بينها (ما يرتبط بجسم الانسان وكيفيه خلقه وكيفيه خلق انواع الكائنات الاخرى الارضية والسماوية) مثل قوله عليه السلام (سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الارضين ،سيحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء) وهي من اعلى اساليب البيان العربي وارقى المناهل الفلسفية في الالهيات والاخلاقيات وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم الحياتية والادب والمعارف الإلهية والفلسفة والتوحيد والمعاد والنبوة والإمامة وحقوق الانسان وغيرها كثير وسنجد ابداعا وايما ابداع في هذا النثر الديني الرائع. ولا عجب انها لم تقتصر على العالم

العربي فقط بل تعدت إلى غيره من شعوب العالم فترجمت إلى اكثر اللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية والفارسية والالمانية وغيرها.

المبحث الأول

نبذه عن حياه الامام علي بن الحسين عليه السلام

هو علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش ولد في المدينة يوم الجمعة في الخامس من شعبان العام الثامن والثلاثين هجريه وامه شاه زنان بنت يزدجرد واشتهر بألقاب منها (ذو الثفنات وزين العابدين والسجاد وزين الصالحين ومنار القانتين وابن الخيرتين وسيد العابدين وقدوه الزاهدين وسيد المتقين وامام المؤمنين والامين والسجاد والزكي وزين الصالحين والعدل وامام الأمة والبكاء). ولقد توفرت للإمام زين العابدين عليه السلام جميع المكونات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها احد سواه وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيته بصورة متميزة جعلته في الرعيل الاول من ائمه المسلمين الذين منحهم الرسول صلى الله عليه وآله ثقته وجعلهم قاده لامته وامناء على اداء رسالته وقد نشأ الامام في ارفع بيت واسماه الا وهو بيت النبوة والإمامة الذي اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه ومنذ الايام الاولى من حياته كان جده امير المؤمنين عليه السلام يتعهده بالرعاية ويشع عليه من انوار روحه التي طبق شذاها العالم بأسره فكان الحفيد بحق صوره صادقه عن جده يحاكيه ويضاهيه في شخصيته ومكوناته النفسية كما عاش عليه السلام في كنف عمه الامام الحسن عليه السلام سيد شباب اهل الجنة وريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يغدق عليه من حنانه وعطفه ويغرس في نفسه مُثله وقيمه العظيمة وخصاله السامية وكان الامام طوال هذه السنين تحت ظل والده العظيم الامام الحسين عليه السلام الذي رأى في ولده زين العابدين امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانيه النبوة ومُثل الإمامة. وقد قدر للإمام السجاد عليه السلام ان يتسلم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد ابيه عليه السلام فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الاول في مرحله من ادق المراحل التي مرت بها الأمة وقتئذ وهي المرحلة التي اعقبت موجه الفتوح الاولى فقد امتدت هذه الموجه بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي فزلزلت عروش الاكاسرة والقياصرة وضمت شعوبا مختلفة وبلادا واسعه إلى الدعوة الجديدة وأصبح المسلمون قاده الجزء الاعظم من العالم المتمدن وقتئذ خلال نصف قرن وقد واجه المسلمون خطرين كبيرين

الاول الخطر الناجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعه واعراف واوضاع اجتماعيه مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب الداخلة في الدين الجديد. والثاني موجه الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي لان موجه الرخاء تعرض المجتمع إلى خطر الانسياق مع لذات الدنيا وانطفاء الشعور بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله تعالى. وقد احس الامام بهذا الخطر وبدأ يعالجه متخذا من الغاء أساساً للعلاج. وبرز الامام عليه السلام على الصعيد العلمي والديني اماماً في الدين ومنارًا في العلم ومرجعاً في الحلال والحرام ومثلا اعلى في الورع والعبادة والتقوى وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وافضليته وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته. ولقد حرص الامام زين العابدين عليه السلام ان يضع الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم. المصدر: حياة الامام علي بن الحسين عليه السلام (زين العابدين)، كاظم جزاد الساعدي، مطبعه الغري، ص ٧٠.

وما يجب عليهم لله وللناس ولكن بأسلوب يختلف عن اسلوب الوعاظ والمرشدين والقصاصين لقد استعمل اسلوب الحوار مع الله عزّ وجل ومناجاته واستعطافه وتمجيده فكان يوجه الأمة من خلال ادعيته التي كان يضمنها مختلف المعارف الإسلامية عقائديا وسياسيا واخلاقيا وغير ذلك ولم يكن بامكان لاحد ان يقول له (لا تدع ربك!) فإن هذا سيكون مستهجنا ومرفوضا من كل احد حيث يرونه بحسب الظاهر لا يتعرض لدنيا هؤلاء الحكام وانما شغل نفسه بعباده ربه وتصفيه وتزكيه نفسه.. ولقد فاتهم انه كان في الظاهر يدعو الله ولكنه كان في واقع الامر يدعو إلى الله ويوجه نحوه ويعرف الناس سبيله ويضمن كلامه الكثير من التعاليم الإلهية والمعارف الدينية التي تهمهم في امر دينهم ودنياهم وانه كان يقود عمليه التغيير الشامل في بنيه العقيدة للامه الإسلامية باسرها. حياه الامام علي بن الحسين (المصدر نفسه)، ص٧٧.

المبحث الثاني

الامام زين العابدين وفلسفه الدعاء

الدعاء في اللغة مشتق من ماده دعو فقد جاء في كتاب العين للخليل دعا دعاء وفلان داعي قوم وداعيه قوم يدعو إلى بيعتهم والجميع دعاه ودعوت الله سبحانه دعاء أي ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخيرويقال دعا أي استغاث وفي الاصطلاح يعرف بانه تعبير بالغ الوضوح عن عرفان المؤمن بربه وباسماء ربه الحسنى ووعي عميق بضعف

البشرواحساس شديد بابعاد نقصه ومراكز ذله ومدى حاجته إلى التكامل إلى التكامل والسمو والدعاء ممارسه عباديه لها حجمها الكبيرفي التشريع ولها شرائطها وادابها وكيفياتها وهو العبادة التي قال الله عزّ وجل فيها. وقال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ سوره غافر ،ايه ٦٠. فعندما يشعر الانسان ان الكون لايحتويه وان مساحات العالم ضائعه في نفسه تنطلق خلجاته بان هناك من سينتشله من الضياع ويشده إلى السماء بواسطة حبل ممدود بين العبد وربه يقترب باقتراب العبد من ربه ويبتعد بابتعاده عنه انه الدعاء الذي يشكل مع الصلاة صنوان لا يفترقان وهما من اهم مفاتيح الاستجابه ومن خلال الدعاء يكون الحوار متصلا بين القلب وخالقه ولعل فطرة الله التي فطر الناس عليها هي التي تقودنا إلى الدعاء لأجل سكينه القلب وطمأنينة النفس وهو صفاء للروح وهو حبل الرجاء والامان والرحمه والغفران وهو بمثابه العشق الالهي عند مناجاة الخالق ويعيش الانسان مع الله سبحانه وتعالى من خلال الدعاء وفي اجواء المناجاة سر التوحيد الالهي في حركه مشاعره الإنسانية وفي علاقه حاجاته وانفصالها عن غيره في عمليه ايحاء ذاتي.

يتبادر إلى الاذهان سؤال يطرح نفسه بقوه هنا وهو لماذا طفحت حياه الامام السجاد عليه السلام بالدعاء اكثر من غيره من الائمه عليهم السلام ؟ وقد تفاوتت اجابات هذا السؤال بين المشرق والمغرب ومن بينها ان ادعيه الامام كان اطارها سياسيا وهو نوع من انواع المقاومة السلمية للسلطات الأموية وذهب اخرون ان الامام اراد يوصل المفاهيم والمعارف الإسلامية إلى الناس بصوره غير مباشره لأنه كان محاصرا ولا يستطيع ان يصرح بطرح المفاهيم والافكار الإسلامية الحساسة على اعواد المنابر وفي حلقات الدروس ورأي اخر يقول انه اراد ان ينشر جوا روحيا في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الانسان المسلم عندما تعصف به المغريات ويشده إلى ربه حينما تجره الارض اليها وتأكيد من نشأ عليه من قيم روحيه لكي يظل اميناً عليها في ظل الغنى والثروة كما كان اميناً عليها وهو يشد حجر المجاعة على بطنه المصدر: بكاء الامام السجاد عليه السلام (اسرار ونتائج) زهير يوسف الدروة، دار المحجة البيضاء، ص٦٦.

ورأي آخر يقول أنه أراد عليه السلام في انصرافه للمناجاة والدعاء كانت غايته اسماع الناس وايصال المفاهيم العالية اليهم وذلك لان الامام عليه السلام كما عرف عنه في جميع الاوساط انه كان إذا توجه إلى وضوئه وصلاته ومحرابه تغير لونه وارتعش خوفا من الله سبحانه

وأنه عندما يحرم للحج ويريد ان يلبي يغشى عليه ويسقط إلى الارض. هذا وان الامام السجاد عليه السلام قد ذاب حباً في الله عزّ وجل ومأنسه الوحيد كان الدعاء والذكر حتى صار هذا الحال غالبا عليه في احواله كلها ولا يفارقه لحظه واحده. أي تحولت حياته إلى ذكر متواصل وعباده مستمره واستحضار في ساحه القدس ولا شك ان هذه الحاله ستشيع جوا روحياً ووهجًا الهياً يشغل النفوس ويوجهها إلى بارئها.

الا اننا مع تحفظنا على كل ما طرح من تفسير هذه الظاهرة الإلهية في شخصيه الامام السجاد إلاّ اننا لا ننكر الاثار الايجابية الكبيرة التي تركتها تلك الأدعية في نفوس الناس وواقعهم واثرت تأثيراً مهما وكبيرا لتغير الواقع ولا يزال تأثيرها جارياً وهي كم وصفت حقاً(انها لمن معجزات هذا الامام عليه السلام ان يصهر العلم والادب وهموم الفرد والأمة ومشاكل الإسلام وما يعانيه في بوتقه ثم يصوغ منها نصوصاً فريده في صيغه دعاء لا يبعد عن روحانيه السماء ولا ينسلخ عن حاجات الارض)! اضافه ان الأدعية السجادية مثلت اسمى المعاني الروحية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية باسلوب رائع رصين يأخذ بمجامع القلوب ويفتحها على الله سبحانه لتشهر برقابته ورعايته وتستمد منه فيض الرحمة والرضوان بل ان الامام السجاد عليه السلام قد فتح بصيره الانسان على ما في نفسه من اسرار الهيه وما يعرضها للهلاك والبوار من امراض القلوب وحدد لها العلاج والدواء. كما ورسم عليه السلام من خلال تلك الأدعية قواعد العلاقات البشرية وما تتطلبه من معلومات وما يكدر صفوها من علائق ولهذا يمكننا القول ان الأدعية السجادية المباركة وبما تحمل من ابعاد روحيه وأخلاقية ونفسيه لم تدع مجالا معرفيا الا واشارت اليه هذا وقد بلغت الموضوعات العقائدية والاخلاقية والسياسية والعلمية وحتى العسكرية في الصحيفة السجادية اكثر من مائتين عنوان له مساس بحياه المجتمع البشري فرداً ومجتمعاً ودولةً. بكاء الامام السجاد عليه السلام، (اسرار ونتائج) المصدر نفسه، ص٨٧.

إن الدعاء في الإسلام هو ركن ركين وكهف حصين وواحه امان وطمآنينه يلجأ إليه الإنسان المسلم عندما تداهمه الخطوب ةتنتابه العلل وتتلبد امامه الاجواء فيحس بالاختناق كل لحظه ويفتش عن المتنفس ويبحث عن الانعاش وقد اشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى حيث قال ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ (القرآن الكريم، سوره يونس، الآية ١٢) وهو شعور فطري بوجود القوه العظمى واليد الغيبيه التي تمتد في اللحظة المناسبة

لإنقاذ الانسان من محنته. والمؤمن يواجه في حياته مخاطر كثيره وذلك بسبب ضعف نفسه لان الانسان خلق من ضعف وركب في ضعف (وخلق الانسان ضعيفاً).

وحياه الانسان محدوده وعمره محدود وعلمه محدود وتحركه في الدنيا محدود والسؤال هو كيف يخرج الانسان من هذا الضعف الذي يحيط به ؟وجوابه انه يخرج منه بقوه خارجيه وامداد غيبي وهو الاتصال بالله سبحانه وتعالى والدعاء عماد الدين وكما هو معروف ان للدين مظهر وجوهر فمظهره هو الصلاة والصيام والحج والزكاة إلى اخر العبادات واما جوهره وعماده هو الدعاء لان جوهر الدين اتصال الانسان بالله وعماد الدين وهو عروج الانسان إلى الله والاحاديث الشريفة اكدت على ان للدعاء اهداف كثيره وحكما لو عرفها الانسان لاكتشف كنزا عظيما ولا كتشف علاجا لمشاكل عويصة يعيشها في حياته وحلا للمصاعب التي تعترضه وشفاء المل في صدره من الالام والاحزان والادران ومنها قول الرسول محمد ﷺ (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض). المصدر: الامام زين العابدين القائد الداعية الانسان، محمد حسين علي الصغير، مؤسسة العارف للمطبوعات، ص٣٤.

ولقد الت الاوضاع العامة لاسيما الا وضاع الاجتماعية ابان عهد السجاد عليه السلام إلى الترف والرخاء والاسراف حتى كاد يطغى هذا الجو على الجانب المعنوي وحتى لا يفقد الانسان طعم الحياه الأخروية وملذة العبادة ومناجاه الرب وكان هذا الانجراف نحو المادية والابتعاد عن الروحية وروحانيه العبادة بالإضافة إلى الدكتاتورية الحاكمة المسلطة على رقاب المسلمين لذلك اراد الامام عليه السلام ان يلتمس طريقا اخر لهداية البشر ومحاربه العتاه الظالمين فكان الدعاء وكانت الصحيفة النوارنية الصحيفة السجادية والتي تعتبر بحق افضل السبل لتقرب الانسان لربه وهي تمثل الابداع والانطلاق والتطور ولم تقتصر على علم خاص وانما شملت الكثير من العلوم كعلم الاصول والاجتماع والسياسة والاقتصاد وعلم النفس واهم المسائل الفكرية والثقافية كل ذلك في اطار من الدعاء والمناجاة مع الباري عزّ وجل.

وتعد هذه الأدعية اهم تراث ورثه شيعه اهل البيت عن ائمتهم عليهم السلام وهي من اروع التراثيات الثقافية والموروث الفكري الامامي بل يحق للإنسانية ان تفتخر بهذا السفر الانساني العظيم الذي اوضحت من خلاله امكانيه التعامل الانساني بكل صيغه ومناحيه من قبل اهل البيت لا كما تترجمه شعارات حقوق الانسان المسيسة لصالح مجموعه أو المبرمجة في

توجهاته الصالح قضيه ما. والصحيفة السجادية هي ملحمة من العلوم الإنسانية والسياسية والاقتصادية كما انها ترجمه لسلوكيه الانسان المتكامل عن دينه وعقيدته. الامام زين العابدين القائد الداعية الانسان ،(المصدر نفسه)، ص٦٥.

وقد اتجه الامام زين العابدين عليه السلام بعد واقعه كربلاء إلى اناره الفكر الإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف فترك للأجيال من بعده تراثاً ضخماً من الفكر والادب والعلوم الإنسانية شيد على اساسها من بعده ائمه اهل البيت عليهم السلام لاسيما الامامان الباقر والصادق عليهما السلام - مدرستهم الفقهية الكبرى. وقد وجد الامام زين العابدين عليه السلام توجيه المجتمع نحو التسلح بالعلم والفكر والمعرفة خير وسيله لأداء رسالته الإصلاحية في وقت كانت الحياه العلمية شبه معدومة حيث اقتضت مصلحه الدولة الأموية آنذاك اقصاء الوعي الثقافي في الأمة واركاسها في منحدر سحيق من الجهل.

ولنرى نموذج من البعد السياسي الذي تحمله احدى ادعيه الامام عليه السلام يوم الاضحى ويوم الجمعة فيقول (اللهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك ومواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلا وكتابك منبوذا وفرائضك محرفه عن جهات اشراعك وسنن نبيك متروكه اللهم العن اعداءهم من الاولين والاخرين ومن رضي بفعالهم واشياعهم واتباعهم) فهنا ذكر الامام عليه السلام الناس بأيام الله تعالى هناك تحت هجير الحر اللاهب قرب غدير خم واشارة مبدعة منه إلى ما حصل ونتائجه التي اوصلت الأمة إلى هذا الوضع بعد ان تركوا اولياء الله وامنائه وتولاه غيرهم فهجر القرآن وحرفت الفرائض وانحرفت السنن ومالت الشرائع.

المبحث الثالث

دواعي واهميه الأدعية النوارنية في الصحيفة السجادية

كانت اخطر مرحله مرت بها الأمة الإسلامية بعد واقعه كربلاء المفجعة وما جرى فيها حيث استبيح الدم الطاهر وانتهكت بها حرم الإسلام وضاعت قيم الدين الحنيف من انفس الناس وتولاهم كل منحرف شاذ يحملهم على ترك مخافة الله وارتكاب الموبقات وهذه المرحلة التي عاش فيها الامام السجاد عليه السلام اربع وثلاثون عاما من سني حياته الشريفة وهو يصحح ما قد انحرف أو زال ذلك الإسلام الذي اراده الله عزّ وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من نفوس

الناس! سيرة الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عند الجمهور رسول كاظم عبد الساده، العتبة الحسينية المقدسة، ص٨٩.

فقد عمل بنو اميه ومن والاهم عل صنع نموذج من الإسلام يستطيعون به ان ينعموا بنعم الدنيا ويستعبدوا المسلمين وقد دابوا على ذلك حتى قبل ان يستأثروا بها. والان لنستعرض ماهي ابرز سمات وملامح إسلام بنو اميه:

١- تشويه اهل الحق بوضع الاحاديث وتلفق التفاسير.

٢- تصفيه المعارضين جسديا.

٣- انشاء الفرق الفكرية المعارضة.

٤- نشر ثقافه السكوت عن الظلم والظالمين بين المسلمين.

٥- ارهاب الآمنين من الناس ومصادره اموال المعارضين ظلماً وعدواناً.

٦- اغداق اموال الدولة على حزب بنو أمية ومعارضيهم.

٧- تعطيل الحدود وايقاف الشرع ونشر البدع في الدين.

هذه السمات وغيرها هي التي جاءت بيزيد إلى الحكم وعلى اساسها حكم كل خلفاء بنو اميه واصبح هذا الفاجر المتجاهر بشرب الخمر وضرب الدفوف اميرا على المسلمين والمتحكم برقاب الناس. وقد أبى وريث الدوحة المحمدية الامام السجاد عليه السلام هذا الإسلام الاموي الجديد وكان عليه ان يتولى المواجهة والتصحيح وقد قاد الامام مشروع الاحياء وثوره التصحيح بالارتقاء بمهمته الرسالية إلى استكمال هذا المشروع وريادة هذه الثورة من خلال مدرسه علميه كبيره حيث لامست كافه مواطن الابداع العامة وفي شتى المجالات. وكان على الاما م ان يلفت الانظار إلى امور كثيره اختلط حابلها بنابلها وكان عليه ان يجذر امورا اخرى في عقول وضمائر الجماعة المؤمنة التي يراد لها ان تحفظ الإسلام عقيده ونظاما شريعة ونهجا وليس شعارا وسوقا أو تجاره واستهلاكا فكانت مدرسته تقوم على عده أسس ابرزها:

أولاً: تركيز ثوره الامام الحسين عليه السلام في ضمائر الناس لأنه خرج لطلب الاصلاح في امه جده آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر داعيا لتحكيم دين الله وبهذا يكون الامام

قد فضح الشرعية المزيفة التي تقنع بها الحكم الاموي وكشف زيف شعاراته الإسلامية العريضة ومزاعم انتمائه للنبي والوحي والرسالة الإسلامية وبالتالي يوضح معالم الإسلام المحمدي الاصيل والفرق بينه وبين الإسلام المزيف.

ثانياً: بناء القاعدة الجماهيرية الشعبية المؤهلة لحفظ الرسالة وحدودها بعيدا عن الزيف والتزييف وسياسة تسطيح الوعي التي غطت مساحات عريضة من الجمهور المسلم.

ثالثاً: تعميق مفهوم الإمامة والولاية في الجماعة بعد اهتزت لدى العامة تحت ضغط الاعلام المزيف وابواقه المأجوره

رابعاً: العمل بمنهاج دقيق وتكتيك خاص يراعى فيه جبروت السلطة الحاكمة التي كانت تحسب على الامام عليه السلام حركاته وسكناته من خلال جواسيسها وازلامها المنتشرين في كل زاويه وزقاق. سيره الامام علي بن الحسين السجاد (المصدر نفسه)، ص٩٩.

والان لنفتح هذه الصحيفة النوارنية ونرتشف منها بعض مواطن الابداع ولعلنا لانستطيع ان نلم بكل هذا الابداع الدقيق والنهج العبقري المعجز (وانى لنا ذلك مع علمنا المحدود)! هذا البلاغ الكبير من بلاغات النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام والتي لم يرقى اليها غير طيرهم ولم تتسم اليها سوى اقلامهم فالدعاء ادب جميل وحديث مبارك ولغة غنيه ودين قيم وبلاغه عبقريه إلهية المسحة نبويه العبقة! ولكن قبل ذلك لنرى بماذا امتازت؟ وسوف نجد انها امتازت بأمور بالغه الأهمية منها:

١- تمثل الانقطاع الكامل لله تعالى والاعتصام بحبله والتجرد التام من عالم المادة. فيقول عليه السلام (اللهم يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث ويحدوني عليها خلة واحدة يحجبني امر امرت به فأبطأت عنه ونهي نهيت عنه فأسرعت اليه ونعمة انعمت بها علي فقصرت في شكرها).

٢- كشفت عن معرفه كامله يتمتع بها الامام تفيد عن عمق ايمانه بالواحد القهار قائم على العلم واليقين والعرفان الاكيد وقد ادلى فيها بالكثير من البحوث الكلاميه التي انتهل منها علماء الكلام والفلاسفه المسلمون فيما كتبوه عن واجد الوجود. ونلمس ذلك جلياً في ابداعات مولانا سيد المبدعين عليه السلام في قوله (مولاي ارحم كبوتي لحر

وجهي وزله قدمي وعد بحلمك على جهلي وبإحسانك على اساءتي فانا المقر بذنبي المعترف بخطيئتي وهذه يدي وناصيتي استكين بالقود من نفسي ارحم شيبتي ونفاد ايامي واقتراب اجلي وضعفي ومسكنتي وقله حيلتي مولاي مولاي وارحمني إذا انقطع من الدنيا اثري ومحا من المخلوقين ذكري وكنت من المنسيين وارحمني عند تغير صورتي وحالي إذا بلي جسمي وتفرقت اعضائي وتقطعت اوصالي يا غفلتي عما يراد بي يا مولاي ارحمني في نشري وحشري) ويفيض هذا الدعاء الشريف بالفزع والخوف من الله تعالى والانقطاع اليه فقد ذاب هذا الامام العظيم امام الرب الخالق الحكيم وتحبب اليه وعمل كل ما يقربه اليه زلفى طالبا منه المغفرة.

٣ـ احتوت على كمال الخضوع أمام الله تعالى وقد امتازت عن بقيه ادعيه الائمه الطاهرين بما فيها من افانين التضرعات واظهار التذلل لله تعالى وقد قال لفاضل الاصفهاني (ان الله تعالى قد خص كل واحد منهم أي الائمه عليهم السلام بمزيه وخصوصيه لا توجد في غيره كالشجاعة في امير المؤمنين وابنه الحسين عليهما السلام والرقة والتفجع في ادعيه زين العابدين عليه السلام لاسيما أدعية الصحيفة السجادية.

٤- لقد فتحت ابواب الامل والرجاء برحمه الله تعالى التي وسعت كل شيء فالإنسان مهما كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه لا ينبغي له ان يقنط من رحمه الله تعالى وعفوه وكرمه. وها هو الإمام في نهاية كل دعاء يناجي بقلبه خالق قلبه ويطلب منه طلباته وهي:

أ/ نعمه الولاية والفرصة للتوبة وطهارة النفس (وتولني بما تتولى به اهل طاعتك).

ب/ الانتباه (ونبهني من رقده الغافلين وسنه المسرفين ونعسة المخذولين).

ج/ التوجه إليه (وخذ بقلبي إلى ما استعملت به القانتين).

د / القربة (واعذني مما يباعدني عنك).

هـ / التوفيق لعمل الخير (وسهل لي مسلك الخيرات اليك).

و/ النجاة من الفتن (ونجني من غمرات الفتنه).

ك / حفظ القلب (واشعر قلبي الازدجار عن قبائح السيئات).

ل / الابتعاد عن حب الدنيا (وانزع من قلبي حب دنيا دنيه تنهي عما عندك).

م / النجاة والسعادة في يوم الحشر (ولا تخزني يوم تبعثني للقائك).

ن / يحبب اليه لقائه (واجعل رغبتي اليك فوق رغبة الراغبين).

ي / الحياة الطيبة (فأحييني حياة طيبة)

٥- انه كانت برمجه للأخلاق الروحية وآداب السلوك والفضائل النفسية التي يسمو بها الانسان عن عالم المادة. (فانك ان تكافني بالحق تهلكني والا تغمدني برحمتك توبقني واستحملك من ذنوبي ما قد بهضني حمله واستعين بك على ما قد فدحني ثقله فصل على محمد واله وهب لنفسي على ظلمها نفسي ووكل رحمتك باحتمال اصري).

٦- احتوت على حقائق علميه لم تكن معروفه في عصره نذكر منها (اللهم وامزج مياههم بالوباء واطعمتهم بالأدواء..).

وهي اشارته إلى حقيقه علميه اكتشفت في العصور الأخيرة وهي ان جراثيم الوباء المعروفة بالكوليرا انما تأتي عن طريق الماء فهو الذي يتلوث بجراثيمها كما ان جراثيم هذا الوباء تنتقل إلى الاطعمة فاذا اكلها الانسان وهي ملوثه بتلك الجراثيم فانه يصاب بهذا الداء هذه الحقيقة لم تعرف الا في هذا العصر. وايضاً قوله عليه السلام (الحمد لله الذي ركب فينا الات البسط وجعل لنا ادوات القبض) فلقد نظر الامام عليه السلام إلى اليدين والرجلين اللذين هما من عجائب الاجهزة في جسم الانسان فانهما ينقبضان وينبسطان حسب الذبذبات التي يوجهها دماغ الانسان اليهما تقول مجله العلوم الانجليزية ان يد الانسان في مقدمه العجائب الطبيعية الفذة وانه من الصعب جدا بل من المستحيل ان تبتكر اله تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعه التكيف فحينما تريد قراءه كتاب تناوله بيدك ثم ثبته في الوضع الملائم للقراءة وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائيا وحينما تقلب احدى صفحاته تضع اصبعك تحت الورقة وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها ثم يزول الضغط بقلب الورقة واليد تمسك القلم وتكتب به وتستعمل كافه الآلات التي تلزم الانسان من ملعقة وسكين إلى اله الكتابة وتفتح النوافذ وتغلقها وتحمل كل ما يريده الانسان واليدان تشملان سبع وعشرين عظما وتسع عشره مجموعه من العضلات لكل منهما وقد بحث الطب الحديث بصوره موضوعيه

وشامله عن خصائص اليدين وما فيهما من الغرائب التي تدل على الخالق العظيم. المصدر: حياه الامام زين العابدين عليه السلام، عبدالرزاق الموسوي المقرم، المكتبة الحيدرية، ص٥٣.

الابداع السياسي والامام زين السياسيين.

إن عمل الامام عليه السلام كان موجها إلى الأمة بسبب ظروف سياسيه لا تسمح له بتوسيع صدره في الساحات فعمد إلى السجود والصلاة ومناجاة رب السموات والارض عبر توريات خفية يزينها كلامه في تجويف الكلمات وكان الفن موزعا في سياسه الاسلوب يصوغ الصور ويرتلها على موسيقى تنبض ضلوع الحروف في فصاحة لا يرقى اليها الخيال ولا تقترب منها ابلغ انواع المجازات واناقات التعابير. فأخذ الامام يدعو مستفيضا من اجل اصلاح الامة واصلاح السياسيين في كل حين وكل جيل حتى يكونوا خير من يقوم بتثبيت الامة على ارضيه ومناهج سليمة وصحيحة وهنا نراه يستثمر دخول شهر رمضان المبارك لفضح الهوية السياسة والعقائدية للظالمين والكشف عن اساليبهم ومخططاتهم في المجتمع والدولة وبقصد بهم الجهاز الحاكم آنذاك إذ ان الامام عليه السلام معروف برؤيته السياسية والعقائدية فيقول (اللهم ان الظلمة جحدوا آياتك وكفروا بكتابك وكذبوا رسلك واستنكفوا عن عبادتك ورغبوا عن مله خليلك وبدلوا ما جاء به رسولك وشرعوا غير دينك واقتدوا بغير هداك واستنوا بغير سننك وتعدوا حدودك وسعوا معاجزين في آياتك وتعاونوا على اطفاء نورك وصدوا عن سبيلك وكفروا نعماءك وشاقوا ولاة امرك ووالوا اعداءك وعادوا اولياءك وعرفوا ثم انكروا نعمتك ولم يذكروا آلاءك وامنوا مكرك وقست قلوبهم عن ذكرك واجترؤوا على معصيتك ولم يخافوا مقتك ولم يحذروا بأسك واغتروا بنعمتك. اللهم انهم اتخذوا دينك دغلا ومالك دولا وعبادك خولا. اللهم افتت اعضادهم واقهر جبابرتهم واجعل الدائرة عليهم واقضض بنيانهم وخالف بين كلمتهم وفرق جمعهم وشتت امرهم واجعل بأسهم بينهم وابعث عليهم عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم واسفك بأيدي المؤمنين دمائهم واورث المؤمنين ارضهم و ديارهم واموالهم اللهم ضلل اعمالهم واقطع رجاءهم وادحض حجتهم واستدرجهم من حيث لايعلمون واتهم بالعذاب من حيث لايشعرون وانزل بساحتهم ما يحذرون وحاسبهم حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا واجعل عاقبة امرهم خسرا. ونلاحظ هنا ان الامام وصف الجماعة الحاكمة بالكفر وهل يوصف بالكفر من يشهد الشهادتين والجواب هنا اننا إذا عرفنا رؤية الامام

لمعاصريه من الحكام لانستغرب اطلاقه الكفر عليهم اخذا بقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ولنلمس الان كيف ابدع الامام زين المبدعين في الممازجة بين سياسة الدعاء وسياسة القرآن لنرى ما يأتي:

١- سياسة الدعاء ان الظلمة جحدوا آياتك..... وسياسة القرآن (فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

٢- سياسة الدعاء وكفروا بكتابك..... وسياسة القرآن (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)

٣- سياسة الدعاء وتعدوا حدودك.....وسياسة القرآن (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون).

٤- سياسة الدعاء واقطع دابرهم.....وسياسة القرآن (فقطع دابر القوم الذين ظلموا).

٥- سياسة الدعاء واشف صدور المؤمنين.....وسياسة القرآن (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين).

٦- سياسة الدعاء وحاسبهم حسابا عسيرا وعذبهم عذابا نكرا واجعل عاقبة امرهم خسراً...وسياسة القرآن ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ نلاحظ هنا ان ادعية الامام السجادية عليها سيماء القرآن الكريم لا من حيث التعبير والبيان فحسب بل من حيث المحتويات السياسة والاهداف لان كلام الله سبحانه وتعالى مقدم على كلام البشر. المصدر: سياسه الحرب في دعاء اهل الثغور، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، ص٥٣.

أما دعاء الامام عليه السلام لأهل الثغور فهو لا يعد دفعا شرعيا قانونيا للنظام الاموي بقدر ما هو الغاء لمشروعيه النظام واثبات لأحقية قيادة الامام عليه السلام الشرعية والقانونية فقد جاء في بعض المقاطع من هذا الدعاء (اللهم صل على محمد واله وكثر عدتهم واشحذ اسلحتهم واحرز حوزتهم وامنع حومتهم والف جمعهم ودبر امرهم وواتر بين ميرهم وتوحد بكفاية مؤونتهم واعضدهم بالنصر واعنهم بالصبر والطف لهم بالمكر) وهذا الدعاء يؤكد حرص

الامام في مجال التعبئة العسكرية وتعبئة المحاربين واهتمامه بالإمداد العسكري من حيث العدة والعدد. ثم يبدع الامام عليه السلام في الاهتمام والتركيز على الجانب الروحي والمعنوي للمحاربين فيقول (اللهم صلِّ على محمد وال محمد وانسهم عند لقاء العدو ذكر دنياهم الخداعة والغرور وامح عن قلوبهم خطرات المال المفتون واجعل الجنة نصب اعينهم ولوح منها لأبصارهم ما اعددت فيها من مسألتي الخلد ومنازل الكرامة والحور الحسان والانهار المطردة بأنواع الاشربة والاشجار المتدلية بصنوف الثمر حتى لا يهم احد منهم بالأدبار ولا يحدث نفسه عن قرته بالفرار) ثم يقول زين القيادة والقياديين عليه السلام (اللهم عقم ارحام نسائهم ويبس اصلاب رجالهم واقطع نسب دوابهم وانعامهم لا تاذن لسمائهم في قطر ولا لأرضهم في نبات) فهنا يتجلى الابداع في ان الامام يأخذ في حساباته النمو السكاني والرفاه الاقتصادي فالأول يعني انحلال حضارة العدو وانهيارها على المستوى السكاني أي تفشي الامراض والاوبئة القاضية بالقضاء على التركيبة السكانية. أما الثاني فهو التركيز على الانهيار الاقتصادي بسبب الوباء الحيواني اضافة إلى المشكلة الاروائية التي تنعكس على الازدهار الاقتصادي بسبب تدني المستوى الزراعي لديهم. وهنا تبرز حكمه قيادته الالهية التي تفوق أي امكانية قياديه وضعيه يدعيها الاخرون. المصدر: سياسه الحرب في دعاء الثغور، المصدر نفسه، ص٨٧.

الابداع العلمي والامام زين العلماء أو زين العالمين:

والآن يمكننا ان نجمل الحقائق العلمية والنظريات الاقتصادية الواردة في الادعية السجادية فيما يلي:

١- اليد صانعه الحضارات: ((الحمد لله الذي ركب فينا الات البسط زجعل لنا ادوات القبض) وهذا الانبساط والانقباض هو الذي يساعد الانسان على صنع الحجر واستخراج الحديد ومسك القلم وحمل الاشياء ولولا البسط والقبض في اليدين لما استطاع الإنسان على مر التاريخ انشاء الحضارات وبناء القصور وتذليل الارض لمنافعه.

٢- نظرية العرض والطلب: (اللهم اسقنا غيثا مغيثا تملأ منه الجباب وتفجر به الانهار وتنبت به الاشجار وترخص به الاسعار في جميع الامصار) (ان الله تعالى وكل بالأسعار ملكا يدبرها فلن يغلو من قلة ولن يرخص من كثرة) فاذا ارتوت الارض ونمت الأشجار وأينعت الثمار فوفرة المطر تزيد المحصول الزراعي وان ازداد المحصول

الزراعي انخفضت اسعاره وهذه هي جوهر فكرة العرض والطلب في الاقتصاد الحديث وهذا يدل على سبق فكري عظيم ولا نخال أحداً سبق الامام زين العابدين عليه السلام في طرح هذه الفكرة التي قامت عليها النظرية الاقتصادية الحديثة.

٣- كرويه الارض: في دعائه عليه السلام في ولوج الليل والنهار(يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه) يستفاد بالدلالة على كرويه الارض من تكرار جملة يولج وان تكرار الجملة الثانية تؤدي حسب الظاهر المراد منها وهو حمل الواو على الحال لامر مستغرب وهو حصول الزيادة والنقصان معا في كل واحد من الليل والنهار في ان واحد وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه سواء كانت مسكونة ام لا فان صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين وكذلك زيادة الليل ونقصانه. وبمعنى اوضح انه اراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الارض وحيث ان هذا المعنى بعيدا عن افهام الناس لانصراف العقول عن ادراك ذلك تلطف وهو الامام بأساليب البيان بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ فانه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من ان الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل لاقتصر على الجملة الاولى (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية (ويولج صاحبه فيه)اذن فذكر الجملة الثانية انما هو دلاله على ايلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال ايلاج صاحبه فيه لان ظاهر الكلام ان الجملة الثانية حالية ففي هذا دلالة على كروية الارض وان ايلاج الليل في النهار مثلا عندنا يلازم ايلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم تكن مهمة الامام عليه السلام الاشارة إلى هذه المعلومة العلمية العظيمة لم تكن لهذه الجملة الاخيرة فائدة. المصدر: الامام زين العابدين عليه السلام عنقود مرصع، سليمان كتاني، بيروت، ص٦٦.

٤- طريقه انتقال الأوبئة: ورد في دعائه لأهل الثغور (اللهم وامزج مياههم بالوباء واطعمتهم بالأدواء) وهذا يدل على ان الماء وسط لنقل الاوبئه الفتاكة كالكوليرا والملاريا وهذا مالم يكن معروفا بل اثبتته التجارب العلمية الحديثة.

٥- وزن الاشياء: بقوله عليه السلام (سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء سبحانك تعلم وزن السموات سبحانك تعلم وزن الارضين سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر) لا شك ان معرفة وزن الشيء لا تتم الا بوجود كمية مقابلة من الحديد فمقدار معين من التراب يعادل كيلو واحد من الحديد مثلا وإذا أراد الإنسان ان يوزن الارض فعليه ان يحقق عملين مستحيلين لا يقدر عليهما الا الله عزّ وجل وهما: الاول هو ايجاد أو صنع ميزان ضخم بحيث يستطيع ان يضع الارض في الكفة الاولى. والثاني: ايجاد كتلة حديدية ضخمة بحجم الارض يضعها في الكفة الثانية حتى يستطيع ان يعرف وزن الارض. والارض اضخم بالنسبة للسموات فمن يستطيع ان يعلم وزن الكون عزّ وجل؟ ولو كان للنور والظلمة وزن لعلمها الله تعالى لأنه يعلم كل شيء. المصدر: الامام زين العابدين عنقود مرصع، المصدر نفسه، ص٧٦.

٧- انها تمثل فلسفه الدعاء الذي هو معراج المؤمن إلى الله تعالى والبالغ به إلى ارقى مراتب الكمال إذ ليس شيء في هذه الحياه ما هو اسمى من الاتصال بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياه إلى النفوس الحائرة التي تشعر بالطمأنينة بعد القلق وبالأمل بعد القنوط ان الدعاء الخالص ليسمو بالإنسان إلى عالم الملكوت.

٨- تعتبر الأدعية السجادية ثوره على الفساد والانحلال الذي كان سائدا في ذلك العصر بسبب السياسة الأموية التي اشاعت المجون والفساد والتحلل بين المسلمين فجاءت الصحيفة ثوره على الجمود والتخلف والانحطاط في العصر الأموي.

٩- لقد بلغت ارقى مراتب الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية فلا نجد كلاما عربيا بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما هو ابلغ وافصح من ادعيه الامام زين العابدين عليه السلام وامتازت الصحيفة على سائر ادعيه المعصومين عليهم السلام بتكرار الصلاة على محمد وال محمد لأنه من الارجح ان هذه الأدعية انشئت في اعقاب واقعه كربلاء والتي اراد بعدها بنو اميه اطفاء النور المحمدي.

والحقيقة انها مثلت النهج العبقري المعجز من بلاغات النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت والتي لم يرق اليها الا غير طيرهم ولم تتسم اليها سوى اقلامهم ،وهي منجم من البلاغة والفصاحة

وينبوع ثر للأدب الإسلامي الهادف وهي منهاجا كاملا للحياة الإنسانية الفريدة ولم يترك الامام جانبا مما تحتاجه الأمة الإسلامية الا وتعرض له وعالجه باسلوبه الفذ وبلاغته البديعة!

١٠- فتحت الأدعية السجادية ابوابا من المناظرات البديعية مع الله سبحانه وتعالى وهي تتضمن انواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه مثل قوله عليه السلام (الهي ان كنت لا تغفر الا لأوليائك واهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟ وان كنت لا تكرم الا اهل الوفاء لك فبمن يستغيث المسيئون؟!) وهكذا قوله (اني امرؤ حقير وخطري يسير وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذره).

أما الابداع التعبيري الاخر فهو يكون في مميزات اسلوب الطرح الذي تميزت به هذه الأدعية في الصحيفة السجادية فيمكن ادراجها فيما يلي:

١- **اسلوب الانشاء:** لم تكن الأدعية بصيغه الروايات والاحاديث المنقوله حتى تعترضه مداخلاتها ومضاعفاتها أو تخترقه مصنوعات اهل الحديث والسنة. لقد جعل الامام نصوصه ليست اخبارا عن احد وانما هو انشاء ينبع من النفس واخبارا عما في قراراتها من تصورات وتطلعات ورغبات وامال وتوقعات ومخاوف واطماع ومشاعر واحاسيس صدرت عن الامام باسلوب المناشده والمناجاه والاستعطاء والاستعطاف بحيث يستوقف السامعين ويستعبرهم ويحدوهم على التأمل والتكرار والاستعادة والاصرار لأنه إذا عرف صدور هذا الامر من افضل اهل العصر فلا بد ان ذلك سيبعثه على التامل في القول والكلام ولا بد ان ينفتح امامه ولو منفذ صغيرمن روح الله وتشع عليه خيوط من اشعه الحق النافذه.

٢- **اسلوب الاستدراج:** ان يبدا الانسان بنفسه في أي عمل يريد تحقيقه شيء يثير في نفوس الاخرين شعور الواقعية والجدية والاخلاص والصدق فمن أساليب الإمام ان يخاطب نفسه ويحاسبها في دعائه ويحرك الضمير والوجدان فيجد الاخرون حديثا خاصا بين الامام وربه يناجيه ويخاطبه ويستدعيه ويستوهبه وتاره اخرى بين الامام ونفسه يعاتبها ويلومها ويستحثها وينصحها ويستبطؤها ويعدها ويوعدها ويتفنن في توجيهها بالوعظ والارشاد والترغيب والترهيب. ومثل هذا الكلام ليس للآخرين حق الاعتراض عليه بل و لا الاعراض عنه لأنه صادر عن شخصيه هي

القمه في المعرفة والايمان وعلى اعلى المستويات في البلاغة والفصاحة وبلغه الحقيقة والواقع ولا يجد السامع والقارئ الا الوفاق مع الامام عليه السلام والقبول بكلامه بشكل تام لأنه يجد الامام قد عبر عما في نفسه وتكلم نيابة عنه. المصدر: الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عبد الودود الامين، دار التوجيه الإسلامي، ص٤٦.

٣- **اسلوب التعميم والكتابة:** لم يركز الامام عليه السلام في دعائه اطلاقا على ذكر أسماء معينه أو محدده ولم يتعرض للأفراد والاشخاص ولا للأقوام بمشخصاتهم فلم يطرح عناوين خاصه بل جعل لكلامه مضمونا عامل ومطلقا وشاملا يعطيه قابليه التطبيق على اكبر مساحه ضيقه وقابليه الخلود والاستمرارية وهو اسلوب مهم لتخليد التأثير والاستفادة من النص وعدم تحجيمه وتطويقه كما يبعده عن الهجوم والرفض والمعارضة من قبل المعنيين بالكلام حكاما ومحكومين. ان قصد الامام ان يقف سامعه على كل الحقائق وبكل ابعادها وان لا يمكن مؤاخذته من قبل اهل الباطل.

٤- **نشر الامل والرجاء:** نجد في الأدعية محاوله جاده في نشر الامل زالرجاء في الروح فبينما يؤكد على المسؤوليه يبعث الحياه لروح الامل والرغبه في سياق احياء روح المراجعه والمراقبه والرهبه ولا يدع لليأس من روح الله منفذ وهو اسلوب قرآني ناجع.

٥- **التكرار بعبارات متعددة:** فقد استعمل تكرار المعنى الواحد باكثر من عباره فيقلبه بصيغ متعاقبه على التوالي بمقياس معين ونسق موحد محافظا على الجرس والوزن الواردين في الجملة الاصلية وهذا يركز في الذهن صوره ذات ابعاد لايمكن ان يفلت العقل من جميعها في فتره قصيره ولايتجاوزهاالضمير والوجدان بسهوله فلابد ان يبقى في اللا شعورمنها ما يؤدي هدف الوصول إلى المنشود.

٦- **الالتفات:** تنويع اساليب الكلام من الخطاب إلى الغيبة إلى الاستفهام إلى العتاب إلى الترغيب إلى الاستنكار إلى الرجاء.. وهكذا مما يرفع الملل ويتقلب معه الفكرمما يمنع القارئ والسامع الملل ولا السبات ويكون كل تقليبه وتحويله ايعازا يشده إلى الدعاء ويوجهه إلى المعاني بشكل ادق واعمق.

٧- **المنطقية والتدريج:** ترتيب المعاني وايرادها في الخطاب بشكل منطقي ومتدرج عقليا وحسب الواقع من الصغريات إلى الكبريات ومن الجزئيات إلى المشتركات الكلية

ثم منها إلى النتائج مما يجعل له اثرا في تثبيت النتائج في عقل الداعي وتركيزها والوصول بها إلى الاهداف المقررة للدعاء.

٨- **استخدام الفن:** ان البديع اللفظي بتزويق الكلام المنثور مسجعا موزونا يجعله بمنزله الشعر في تاثير جرسه ورنينه من جهه صيانته حيث تبدو للعيان لمسات التعدي عليه وتتبين اثار التحريف والتصحيف على صفحته فيتصدى لها بكل يسر قبل ان يستحلف الخطرومن جهه ما يترك جمال الفن وموسيقاه في النفوس من ايحاء واثر وقد ظهرت على صفحات الصحيفة انواع كثيره من اساليب البديع العربي الجميل مع المحافظه على جميع الاهداف المقصوده والوفاء بجميع الاغراض المنشودة في كل مقطع وموضع.

ولنستعرض معا بعضا من مواطن الابداع في مضامين هذه الأدعية النورانية الجامعة لكل شيء يحتاجه الفرد المسلم في علاقته مع الله سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع الكون.

أولاً – المضامين العقائدية:

هنا تتجلى قدره الامام عليه السلام الفائقة على تجسيد العلاقة بين العبد وربه وهي حقا عبقه محمديه ونبعه علويه ولنستمع قليلا إلى قوله عليه السلام (الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرته وجعل لكل واحدا منهما حدا محدودا وامدا ممدودا يولج كل واحدا منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد قيما بغذوهم وينشئهم عليه فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب وجعله لباسا ليلبسوا من راحته ومنامه فيكون ذلك جماما وقوه ولينالوا به لذه وشهوه وخلق لهم النصار مبصرا ليبتغوا فيه من فضله وليتسببوا إلى رزقه ويسرحوا في ارضه طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم ودرك الاجل في اخراهم) ولقد استدل هذا الامام الحكيم على عظمه الله سبحانه وتعالى بإحدى آياته وهي آيه الليل والنهار فقد خلق الليل والنهار وولوج كل منهما في الآخر بحركة خفية لا يملك احد وقفها ولا ضبطها ولا تقسيمها وتحديدها ان دخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل انما يتم في تدرج وتداخل لا يمكن فيه فرز اللحظات وفصل التغييرات شيئا فشيئا حيث يتسرب غبش الليل إلى وضاءه النهار وشيئاً فشيئاً يتنفس الصبح في غياهب الظلام وكلاهما مشهد مكرر. كما يذكر الامام عليه السلام الحكمة من خلق الليل والنهار فقد خلق الليل ليسكن الانسان من حركات التعب ونهضات النصب وان جميع ما يستهلكه الانسان من طاقات في اثناء عمله

بالنهار يسترده في منامه وخلق تعالى النهار وجعله مبصرا ليبتغي الانسان فيه من فضله ويتسبب إلى رزقه. المصدر: الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام المصدر نفسه، ص١٥٥.

ويرسم الامام لوحه اخرى عن عظمه الخالق سبحانه وكيف انه جل وعلا أكبر ولكنه أكبر من كل كبير وليس اكبر من كل صغير. ويقول عليه السلام ايضاً (الحمد لله الذي تجلى للقلوب بالعظمة واحتجب عن الابصار بالعزة واقتدر على الاشياء بالقدرة فلا الابصار تثبت لرؤيته ولا الاوهام تبلغ كنه عظمته تجبر بالعظمة والبرياء وتعطف بالعز والبر والجلال وتقدس بالحسن والجمال وتمجد بالفخر والبهاء وتهلل بالمجد والالاء واستخلص بالنور والضياء خالق لا نظير له ورازق لا معين له والاول بلا زوال والدائم بلا فناء والقائم بلا عناء والباقي بلا نهاية والمبدئ بلا امد والصانع بلا ظهير كذلك ابدا هو الاله الحي القيوم الدائم القديم...) اما توحيده للباري عزّ وجل يصبه في قالب دعاء يوجه من خلاله الانسان بهدوء وبساطه إلى وحدانية الله تبارك وتعالى من خلال استقراء ظواهر طبيعية حسيه هي مع الانسان في وجوده فأحتج الامام عليه السلام في احد ادعيته عندما رفع الامام صوته الرافض لمروجي الافكار الدخيلة على الإسلام ومنها تشبيه بعض الاقوام الله سبحانه بخلقه واعلن براءته امام الله من العقائد المنافية لمعنى التوحيد حتى تكون حجه بالغه على الناس اجمعين ثم توجه إلى تمجيد ربه وتقديسه من خلال ادعيته ومناجاته لتكون خير جواب ورد على التوجه الخاطئ من بعض المسلمين لمعرفه الدين فيقول عليه السلام (إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئه جلالك فجهلوك وقدروك بالتقدير على غير ما انت به شبهوك وانا برئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء يا إلهي ولم يدركوك واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك).

ثانياً – المضامين الأخلاقية:

سعى الامام عليه السلام إلى الارتفاع بالنفس المؤمنة في مدارج الكمال عبر بلوره المفاهيم الأخلاقية التربوية من خلال جعل النفس تتعلق بأخلاق السماء والتعالي عن كل وضيع والارتفاع عن كل دنئ وقد ارسى الامام في ادعيته كلها مناهج التغيير الذاتي بمحاكاة العقل والوجدان الإنساني وتربيتهما فمثلاً نراه وهو ينشد إلى افاق السماء ويغوص في اعماق الارض (وهب لي من معالي الاخلاق واعصمني من الفخر اللهم صل على محمد وال محمد ولا ترفعني في الناس درجه الا وحططتني عند نفسي مثلها) فهي تعبر تعبيرا دقيقا عن منهج سلوكي قديم عظيم غارق في الشقافية وذو ارتباط عاطفي شديد الصلة متين الانشداد

برب العزة تبارك وتعالى ولكنه من زاويه اخرى عميق الغوص في الجانب التربوي والاخلاقي ومره اخرى نرى اندكاك الامام بهموم الأمة ولوعته في مناشده الله سبحانه ومن ثم الضمير الانساني في الأمة بقوله (يامن اتقيتم سلطان الارض الا تتقون سلطان السماء؟ يامن ارهبكم عذاب الدنيا الا ترهبون عذاب الآخرة؟ أتخشون ملكا تعصونه مره ولا تخشون ملك الملوك وانتم في كل يوم له عاصون؟!).

(اللهم من تهيأ وتعبا واستعد لوفاده لمخلوق رجاء رفده ونوافله وطلب نيله وجائزته فاليك يامولاي تهيئتي واستعدادي رجاء عفوك وطلب نائلك وجائزتك فلا تخيب دعائي يامن لايخيب عليه سائل ولا ينقصه نائل فاني لم اتك بعمل صالح عملته ولا لوفاده مخلوق رجوته اتيتك مقرا على نفسي بالاساءه والظلم معترفا بأن لا حجه لي ولا عذر لي اتيتك ارجوعظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين).

إن الإمام السجاد هنا ينطلق من وعي سياسي تام بأن التوعية الفكرية تبقى بارده ولا تؤدي إلى تفعيل الحياه الثقافية والسياسة للامه وتحصين المسلمين ضد عوامل الهدم الفكري والافساد السياسي والاخلاقي وقد امتزجت هنا بالنداوة إلاّ لروحية وتنفعل بالحرارة العاطفية حيث يكون وجدان المسلم عاده في سخونة كافيه فتكون قادره على ان تترسخ في اعماق النفوس وتستقر في صفحه الذهن وتتحقق عمليه الانفعال. وأيضاً تتجلى الاخلاق المحمدية العلوية بأروع ابداعاتها في قوله عليه السلام (اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره ومن معروف اسدي الي فلم اشكره ومن مسيء اعتذر الي فلم اعذره ومن ذي فاقه سلني فلم اوثره ومن حق لزمني لمؤمن فلم اوفره ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم استره ومن كل اثم عرض لي فلم اهجره). المصدر: منهج الامام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود، دار الهادي، ص٧٩.

ثم لنتذوق معاً التربية الاخلاقية التي ينطلق منها الامام عليه السلام ويوجهها لأبناء المجتمع في قوله (اللهم صل على محمد وال محمد واحجبني عن السرف والازدياد وقومني بالبذل والاقتصاد وعلمني حسن التقدير واقبضني بلطفك عن التبذير واجر من اسباب الحلال ارزاقي ووجه في ابواب البر انفاقي واوزعني من المال ما يحدث الي مخيله أو تأديا إلى بغي أو ما اتعقب منه طغياناً) (اللهم حبب الي صحبه الفقراء واعني على صحبتهم بحسن الصبر

وما زويت عني من متاع الدنيا الفانية فادخره لي في خزانتك الباقية واجعل ما خولتني من حطامها وعجلت لي من متاعها بلغه إلى جوارك ووصله إلى قربك وذريعة إلى جنتك انك ذو الفضل العظيم وانت الجواد الكريم)! وان التأمل في هذا الدعاء الكريم يرفع الانسان اعلى مراتب الشعور الانساني حيث يشعر المرء بحب الصحبة للفقراء والابتعاد عن اخلاق الطغاة وبالذات الطغيان الناشئ عن الغنى والثروة كما ويعلمنا عليه السلام كيف ينبغي ان نصرف الأموال بدون تبذير ولكن مع الانفاق في وجوه البر والاحسان كما ويذكر الإنسان بأن الهدف الاقصى هو بلوغ الآخرة عند جوار الرب الكريم.

ثالثاً – المضمون العبادي:

حرص الامام عليه السلام على انزال الدعاء من السماء إلى الارض وشده بين واجبات الانسان على الارض وتطلعه نحو السماء وتعبئه الأمة لحفظ هذا التواصل واذكاء جذوته وابقائه في نفوس الناس فلا يكاد المر ء يستمع إلى مواعظه الا ويستشعر نكهتها التربوية والاجتماعية والسياسة ودورها في تهذيب النفوس وتنقيتها وتؤكد كذلك على مسؤوليه الانسان في هذه الحياه الدنيا ودورها في احياء المجتمع فيقول عليه السلام:

١- (اصبحت مطلوبا بثمان الله يطالبني بالفرائض والنبي بالسنة والعيال بالقوت والنفس بالشهوة والشيطان بأتباعه..) ومثله ايضاً (الهي فأجعلنا من الذين ترسخت اشجارالشوق اليك في حدائق صدورهم)! (اللهم لا تغلق على موحديك ابواب رحمتك!).

٢- (ايها المؤمنون لا يفتتنكم الطواغيت واتباعهم من اهل الرغبه في الدنيا الماثلون اليها المفتونون بها المقبلون عليها).

٣- وقال عليه السلام في وصف اهل الدنيا (الناس في الدنيا ست طبقات: اسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير وشاه فأما الاسد فملوك الدنيا يحب كل واحد منهم ان يغلب ولا يُغلب واما الذئب فتجاركم يذموا إذا اشتروا ويمدحوا إذا باعوا واما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولا يكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم واما الكلب يُهر على الناس بلسانه ويكرهه الناس من شره لسانه واما الخنزير فهؤلاء المختشون

واشباههم لا يدعون إلى فاحشه الا اجابوا واما الشاه فالذين تجز شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم) ثم يتسأل متوجعاً مشفقاً على المؤمنين (فكيف تصنع الشاه بين اسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير).

٤- ثم يقول مخاطبا شيعته(ايها الناس اتقوا الله واعلموا انكم اليه راجعون فتجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ويحذركم الله نفسه... فكيف إذا دنا اجلك وقد قبض الملك روحك وصيرت إلى قبرك وحيدا فأن كنت عارفا بدينك متبعا الصادقين مواليا لاولياء الله لقنك الله حجتك واستقبلك الملائكة بالروح والريحان وان لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعييت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة شداد غلاظ...). المصدر: منهج الامام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، المصدر نفسه، ص٩١.

٥- هنا يسبر الامام السجاد اغوار النفس الإنسانية ويفرق بين زيفها وصدقها وكشفه الفاصله بين الواقع والادعاء والظاهر والباطن وهذا من ينبغي مجالسته ومصاحبته ومصادقته وتفضيل الانيس الموافق والقرين الصالح وحب الصالحين في مقطوعته البليغة والتي هي غايه في الابداع فيقول (إذا رأيتم الرجل قد حسن وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويدا لايغرنكم فما اكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعيفه بنيته ومهانته وجبن قلبه فنصب الدين فخا لها وهو لايزال يختل الناس بظاهره فأن تمكن من حرام اقتحمه واذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغرنك حتى تنظروا ما عقده عقله فما اكثر من ترك ذلك اجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله! فأن وجدتم عقله متينا فرويدا لايغرنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه ؟ فكيف محبته للرئاسات الباطله وزهده فيها فأن في الناس من خسر الدنيا والاخره بترك الدنيا للدنيا ويرى ان لذه الرئاسه الباطله افضل من لذه الاموال والنعم المباحه المحلله فيترك ذلك اجمع طلبا للرياسه حتى قيل له اتق الله اخذته العزه بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) فهو يخبط خبط عشواء يقوده اول باطل إلى ابعد غايات الخسارة ويمده ربه بعد طلبه لما لايقدر عليه في طغيانه فهو

يحل ما حرم الله ويحرم ما احل الله لايبالي بما فات من دينه إذا سلمت رياسته التي قد شقي من اجلها (فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم عذاباً مهيناً) ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل الذي جعل هواه تبعا لامر الله وقواه مبذوله في رضا الله يرى الذل مع الحق اقرب إلى عز الابد مع العز في الباطل ويعلم ان قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعم في دار لاتبيد ولاتنفد وان كثيرما يلحقه من سرائها ان اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا وبسنته فأقتدوا والى ربكم فتوسلوا فأنه لا ترد له دعوه ولا تخيب له طلبه.

ولنتأمل هنا كيف يختلي المؤمن بربه وفيها ما يثير في النفس رغبتها في كتم ما تنطوي عليه من المساوئ لينتبه الانسان إلى هذه الدخيلة فيها ويستدرجه إلى ان يعترف بذلك حين يقرأ بعد (أي رب جللني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك) (فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته) وهذا الاعتراف بدخيله النفس وانتباهه إلى الحرص على كتمان ما عنده من المساوئ يستثيران الرغبه في طلب العفو والمغفره من الله تعالى لئلا يفتضح عند الناس لو اراد الله ان يعاقبه في الدنيا أو الآخرة. ثم لنتأمل الابداع في هذا الدعاء المقتضب (فهبني يا الهي وسيدي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك وهبني ياالهي صبرت على حر نارك فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك؟!)

وهنا يلقن الامام النفس البشريه بضروره الالتذاذ بقرب الله تعالى ومشاهده كرامته وقدرته حبا له وشوقا إلى ما عنده وان هذا الالتذاذ ينبغي ان يصل درجه ان يكون تأثيره اعظم من العذاب وحر النار ولا يخفى لطف النوع من التعجب والتملق إلى الكريم الحليم قابل التوب غافر الذنب.

ولنعمل فكرنا ونحن نسمع دعاء عليه السلام الجامع لجميع مكارم الاخلاق ولما ينبغي لكل عضومن اعضاء الانسان وكل صنف منه ان يكون عليه من الصفات المحمودة فيقول: (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة واكرمنا بالهدى والاستقامة وسدد السنتنا بالصواب والحكمه واملأْ قلوبنا بالعلم والمعرفه واطهر بطوننا من الحرام والشبهه واكفف ايدينا عن الظلم والسرقه واغضض ابصارنا عن الفجور والخيانه واسدد اسماعنا عن

اللغو والغيبه وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحه وعلى المتعلمين بالجهد والرغبه وعلى المستمعين بالاتباع والموعظه وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحه وعلى موتاهم بالرأفه والرحمه وعلى مشياخنا بالوقار والسكينه وعلى الشباب بالانابه والتوبه وعلى النساء بالحياء والعفه وعلى الاغنياء بالتواضع والسعه وعلى الفقراء بالصبر والقناعه...).

ثم لنغوص اكثر في الابداعات الروحية لهذا المقطع من ادعيته عليه السلام (يا مولاي انت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتي لا يشركك احد في رجائي ولا يتفق احد معك في دعائي ولا ينظمه واياك ندائي اللهم فها انا قد جئتك مطيعا فيما امرت به من الدعاء منجزا وعدك فيما وعدت به من الاجابة إذ تقول ادعوني استجب لكم الهي ادعوك فتجيبني وان كنت بطيئا حين تدعوني وضعت عندك سري فلا ادعو سواك ولا ارجو غيرك لبيك لبيك تسمع من شكا اليك) المصدر: المعصومين الاربعة عشر الامام زين العابدين عليه السلام، لجنه التحرير، دار الحسين، ص٩٦.

ففي هذه القطعه من سيد الساجدين بيان لجمله أمور ومنها:

أ. اختصاص الدعاء بالله تعالى وقصره عليه فلا يسوغ دعاء غيره مهما بلغ شأنه يقول سبحانه ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ولا اشراكه معه.

ب. وجود امر الهي بالدعاء ووعد الهي بالإجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ج. ان الله عزّ وجل قريب ممن دعاه وناجاه يسمع من شكا اليه إذا قصر رجاءه عليه ولم يدع سواه (واذا سألك عبادي عني فأني قريب اجيب دعوه الداعي إذا دعان) وبهذا الصدد يقول امير المؤمنين عليه السلام في احدى وصاياه (اعلم ان الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد اذن لدعائك وتكفل لإجابتك وامرك ان تسأله ليعطيك وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما اذن فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب خزائنه والدعاء سلاح المؤمن ومفتاح الرحمة ونور السموات والارض ومخ العبادة).

ثم لنذهب في رحله قصيرة شيقة مع امامنا السجاد عليه السلام في حكاية خلق الانسان فيقول (اللهم انت حدرتني ماءا مهينا من صلب متضائق العظام حرج المسالك إلى رحم ضيقه

سترتها بالحجب تصرفني حالا عن حال حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة واثبت في الجوارح كما نعت في كتابك نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم كسوت العظام لحما ثم انشأتني خلقا اخركما شئت حتى إذا احتجت إلى رزقك ولم استغن عن غياث فضلك جعلت لي قوتا من فضل طعام وشراب اجريته لامتك التي اسكنتني جوفها واودعتني قرار رحمها).

والتفسير العلمي ان الماء الدافق يخرج من صلب الرجل وعظام صدر المرأه يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المراه فيتولد منهما الولد باذن الله ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ والصلب العمود العظمي الكائن وسط الظهر وهو ذو فقرات والترائب انها عظام الصدر بين الترقوتين والثديين. ووصف المني بأنه ﴿مَاءٍ مَهِينٍ﴾ لأنه يخرج من مجرى البول. فيقول سبحانه وتعالى ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾.

واحدث ما توصل له علم الاجنه ان هناك فتره زمنيه بين مرحله النطفة والعلقة (لذلك استعمل حرفي العطف الفاء وثم) لتفيدا مره الترتيب والتعقيب ومره الترتيب والتراخي. وتكوين العلقه تزيد عن اسبوعين لان هذه المرحلة مرحله انغراز النطفة في جدار الرحم والجنين في هذه الفتره لاينمو ولكنه يوطد طرائق امتصاصه للغذاء من الرحم وهو هنا على شكل قرص من الخلايا المنتظمه على شكل صفين متوازيين.

وهنا مقطوعه اخرى غايه في الروعة والابداع يربط فيها الانسان ماضيه مع مستقبله في استعاره ة وتشبيه مبدع في قوله في دعاء الصباح السجادي حيث يقول عليه السلام (ولا تجعلني ممن تقدم فمرق أو تأخر فمحق واجعلني ممن لزم فلحق واجعلني شهيداً سعيداً) هذا الدعاء به يتوسل الامام إلى الله تعالى ان يجعل قارئ الدعاء شهيداً سعيداً بحيث لا يفوته موكب الامام المنتظر (عجّل الله فرجه وسهل مخرجه) في حركته الإصلاحية للمجتمعات المنحرفة وقد عبر صاحب المعنى بثلاث عبارات هي الا يكون متعجلاً فيمرق ولا متأخراً فيمحق بل ممن لزم الامام ولحق به. المصدر: المعصومين الاربعة عشر الإمام السجاد، عليه السلام المصدر نفسه، ص١٢١.

إبداع الامام مع وجود الحقيقة الالهية:

وهنا نستعرض معا كيف تعامل مع مرتبه وجود الحقيقة الإلهية وما لها من الخصائص

والشؤون كيف تعامل موجد الابداع الامام سيد الساجدين بل هو سيد المبدعين فيقول عليه السلام (الهي لولا الواجب من قبول امرك لنزهتك من ذكري اياك على ان ذكري لك بقدري لا بقدرك وما عسى ان يبلغ مقداري حتى اجعل محلا لتقديسك ومن اعظم النعم علينا جريان ذكرك على السنتنا واذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك).

فهنا إلى جانب مشاعر محبه الوجود وعشقه تنبض نصوص ادب الدعاء بصنوف اخرى من المشاعر المتولده عن معرفه الله سبحانه وتعالى ويتجلى الابداع عاليا برقه التنزيه والتقديس هنا. وان من الفطري والمألوف ان يلهج الانسان بذكر الأحبة ويصدح بحمد اولي الفضل كما ان من المستحسن والمعروف ان يتقدم الانسان بعذره ويبرر موقفه إذا ما قصر في الذكر والحمد أو حال بينه وبين ذلك حائل والامام هنا افتتحها بالاعتذار غير ان اعتذاره عليه السلام لم يلتزم النهج السائد ولم ينح النحو الدارج بل جاء فريدا في بابه واستثنائيا في طريقته والسر في فرادته هو انه عليه السلام وعلى خلاف ما هو شائع ومتداول يقدم اعتذاره لأنه يذكر الله تعالى ولأنه يردد اسمه على لسانه وليس العكس ولذلك نجده عليه السلام يقول (الهي لولا الواجب من قبول امرك لنزهتك من ذكري اياك) فالإمام بما يمتلك من عمق الفكرة وشفافية النفس ورهافه الحس يرى ان الله تعالى اجل من ان ينطق الانسان باسمه أو يلهج بذكره ولولا انه تقدست اسماؤه هو الذي امرنا بان نذكره وندعوه لنأي الامام بنفسه عن هذا الأمر ولتورع عن اتيان مثل هذا الفعل على ان اباحه الامام عليه السلام لنفسه ان يذكر الله تعالى طاعه لأمره لا تمس بروح القداسة ولا تنتقص من شعور التنزيه إذ ان ذكر الانسان لله سبحانه ومهما سما الانسان أو ترقى يبقى محدوداً بحدود قدر الانسان وقاصرا ابدا عن قدر المولى تبارك اسمه وهذا ما عبر عنه المناجاة المبدعة الآتية فيقول المبدع عليه السلام (على ان ذكري لك بقدري لا بقدرك وما عسى ان يبلغ مقداري حتى اجعل محلا لتقديسك) فاذا كان مقدار الإنسان كما يعلمنا الامام عليه السلام لا يرقى لان يجعل محلا لتقديس الله سبحانه وتعالى فإنها لنعمه عظيمه اذن ان يأذن الله جلّ شانه بجريان ذكره على السنتنا (ومن اعظم النعم علينا جريان ذكرك على السنتنا واذنك بدعائك وتنزيهك وتسبيحك) اذن رؤيا الامام لمبدا الوجود لهي رؤيه خاصه وفريده مفعمة بأشد المشاعر رهافة وأصفاها شفافية بل انها لتصطنع منطقها الخاص المغاير للمنطق السائد في النصوص الأدبية التي تتعرض لذكر الأحبة أو لحمد ذوي المنزلة واولي الفضل. اذن لنلمس الآن مشاعر الرضى بالوجود في ادب الدعاء المبدع عند

الامام زين المبدعين وسنرى فيها تنوع المشاعر وتعدد المجالات وسعه المساحة ولنعطي مثالين على ذلك فقط: (وهما الدعاء عند المرض والدعاء عند الرهبة) المصدر: في رحاب الامامين السجاد والباقر عليهما السلام، فوزي ال سيف، دار المحجة البيضاء، ص١٣٣.

أولاً – الدعاء عند المرض:

تتناوب على الانسان في رحلته الوجودية حالات كثيره متقلبه يستشعر في بعضها الهناءه والراحة والخير ويستشعر في بعضها الاخر اضداد هذه الامور ونقائضها وحين يتناول ادب الدعاء هذه الحالات المتقابلة فانه يعلمنا ان ننفذ إلى بواطنها لنستكشف ما تنطوي عليه من حكمه وما تشتمل عليه من مصلحه فيقودنا بذلك إلى النظر اليها كلها نظره واحده مشتركه هي نضره الرضى والتسليم. فيقول الامام عليه السلام (فما ادري يا إلهي أي الحالين احق بالشكر لك؟ وأي الوقتين أولى بالحمد لك؟ اوقت الصحة التي هنأتني فيها طيبات رزقك ونشطتني بها لابتغاء مرضاتك وفضلك وقويتني معها على ما وفقتني له من طاعتك؟ ام وقت العله التي محصتني بها والنعم التي اتحفتني بها؟ تخفيفا لما ثقل به على ظهري من الخطيئات وتطهيرا لما انغمست فيه من السيئات وتنبيها لتناول التوبة وتذكيرا لمحو الحوبة) تحمل كلمات الدعاء فهما ايجابيا عميقا للوجود وهو فهم يبدل من نظرتنا إلى الواقع تبديلا جذريا حيث انه لا يقف عند ظواهر الأمور ليعتبرها هي الحقائق النهائية والأخيرة بل انه يفتح بصائرنا على ما يكمن خلف هذه الظواهر من معان ومعطيات. وعلى هذا الاساس فان حالا كحال المرض والذي ينظر اليه انه شر من الشرور يصبح في منطق الدعاء سبباً من اسباب الرحمة والنفع العميم وذلك ان المرض في الرؤية الكونية للدعاء السجادي ينثل طريقا من طرق اختبار الإنسان وتمحيصه كما انه يحط من الخطيئات ويطهر من السيئات وينبه الانسان على ما فيه من وهن لكي يرجع إلى مولاه طالبا من التوبة ومحو ما ارتكبته يداه من الآثام. فالمرض في منطق الامام ليسكما يبدو في ظاهره أي انه ليس مجرد نوع من الاختلال والوهن ولا هو مجرد معاناه للآلام بل ان ظاهره هذا ينطوي يحتوي على جمله من النعم التي لا تقل شانا عن النعم التي يحصل عليها الانسان في وقت الصحة وهو الوقت الذي يتاح له فيه ان يهنا بطيبات الرزق وان ينشط لابتغاء مرضاه الله سبحانه وتعالى ويقوى على طاعته وعبادته جل ثناؤه. وانطلاقا من هذا يمكننا ان نفهم المعنى العميق للتساؤل المدهش والصادم الذي يطرحه الامام عليه السلام في بداية النص الذي يعرب فيه عن الحيرة في تعيين أي الحالين هو اولى

بالشكر اهو وقت الصحة والعافية ام وقت العله والمرض؟ وكل ذلك يظهر لنا مره اخرى عظمه وابداع مدرسه الدعاء السجادي وتميز رؤيتها الكونية وما تتركه من أثر بالغ على نظر الانسان إلى الوجود وعلى فهمه لطبيعة هذا الوجود وادراكه لأسراره ومن ثم على موقفه تجاه الوقائع والاحداث وطريقه تقييمه لها! وما اوسع الفرق بعد هذا وما ابلغ الاثر على حياه الانسان بين ان يرى في حالات الشده ومواضع المحن امورا سلبيه وظروفا معاديه ونقائص في طبيعه الوجود وبين ان يرى فيها الرحمه والعطف والتحنان واسبابا للتكامل وعللا لليقظه وفرصه لاستئناف النهوض. المصدر: في رحاب الامامين السجاد والباقر عليهما السلام، المصدر نفسه، ص١٦٥.

ثانياً – الدعاء عند الرهبة:

وهنا بين ايدينا مقطع عن حاله من اسمى حالات الرضى بالوجود وعن صوره من امثل صور العبودية لله تعالى والتسليم المطلق لمشيئته ويكفينا دلاله على ذلك من قوله عليه السلام (فارحمني اللهم فاني امرؤ حقير وخطري يسير وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذره ولو ان عذابي مما يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه واحببت ان يكون ذلك لك ولكن سلطانك اللهم اعظم وملكك ادوم من ان تزيد فيه طاعه المطيعين أو تنقص منه معصيه المذنبين فارحمني يا أرحم الراحمين).

فهل يمكننا ان نتصور تعبيرا عن التسليم والرضى ابلغ مما تفصح عنه هذه العبارات؟! بل انى لنا ان نتخيل تسليما أو رضى اقصى من ان يحب الانسان ان يحل به العذاب ومهما اشتد أو عظم مادام هذا العقاب مما يزيد في ملك مولاه أو يوسع من سلطانه؟! ولربما يثير موقف الامام هذا شيئا من الاستغراب لدى البعض فيرى فيه نوعا من أنواع المبالغة في التعبير أو نحوا من انحاء المثالية العصية على الفهم. ولكن لو تدبر المرء كلام الامام عليه السلام واحسن الالتفات اليه لادرك واقعيه معانيه وخلوه من ايه مبالغة أو مغالاة وشاهدنا على ذلك هو ان الامام عليه السلام لم يطلق القول بحبه العذاب اطلاقا بل وطأ له بتوطئة ضرورية يقتضيها منطق الصدق والواقعية وهي قوله (لسألتك الصبر عليه) ولم يكتف بالقول (ولو ان عذابي يزيد في ملكك لا حببت ان يكون ذلك لك) بل قال (ولو ان عذابي يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه واخببت ان يكون ذلك لك) فجاء بعباره لسالتك الصبر لتكون هي التوطئة الملائمة لإعلانه عن حب العذاب فهو عليه السلام يسال الله تعالى اولا ان يعطيه الصبر

ويهبه القدرة على تحمل العذاب ليعلن بعدها عن حبه لان يكون ذلك له تعالى. فقد راعى الامام عليه السلام الدقة وصدق المقولة وواقعيه الموقف. فما ابدع البدء والخاتمه هنا!

الابداع اللغوي والامام زين المبدعين:

البلاغة هي احدى علوم اللعه العربيه وهي مشتقه من الفعل بلغ أي ادرك الغاية أو الوصول إلى النهاية والبليغ يستطيع ايصال المعنى كاملا للمستمع بدقه وايجاز. ونرى هنا ان الامام كلما استعمل التشبيه والكنايه ولغه المجاز والاستعاره استعملها في لطف وجمال دون التكلف والتصنع اللفظي كلامه كالماء الجاري الذي يسيل في مجرى لين مسترسل بالفاظ بديعه جميله مفعمه بالمعاني وتراكيب فصيحه ولم يكن يصدر من الامام تكلفا والتماسا للصنعه قط بل نشا عن موهبته واستعداده للفصاحة والبلاغة وعن ضميره التقي السامي مستلهما معانيه وصياغه الفاظه من القران الكريم الذي هو فوق قدر البشر!! كلما هنا تبرز مقدرة الامام عليه السلام وسيطرته على الكلام يستقر التعابير والمفاهيم ولاصطلاحات المجازية في درجات البلاغة عاليها ودانيها فكلما كانت المجازات مثل الاستعارة والكناية الطف والتناسب والتشابه بين المعنى الحقيقي والمجازي اكثر كانت افانين الكلام اكثر رونقا وجمالا وتأثيراً في النفوس مثله مثل النماذج الراقية في القرآن الكريم ونهج البلاغة.

- التشبيه: ولننظر ماذا قال زين المبدعين وحفيد سيد البلغاء في شرح حال من كان يسير في طريق الخطيئة والضلال وجاء قاصدا درب الهداية متوجها إلى الله تعالى فيقول عنه (تقشعت عنه سحائب العمى) فشبه العمى بالسحاب ثم اضاف المشبه به السحاب بالمشبه العمى وهو نوع من التشبيه البليغ والمؤكد ولنرى موطن الابداع هنا وهي ان مزيه السحاب هي ان يقلل النور ويصد اشعه الشمس والقمر والنجوم لذلك فان بالنظر إلى خاصيه العمى ايضا ازاله رؤيه العين وامتناع رؤيه الاشياء شبه السحاب. وتشبيه اخر مبدع وجميل بقوله (اللهم صلِّ على محمد واله كما شرفتنا به فهنا نوع من التشبيه المجمل المرسل وفيه المشبه محذوف والمشبه به مصدرمؤول ولكنه مقدروشرفتنا يؤول بمصدر تشريف بسبب ما المصدريه والمشبه محذوف وهو (الصلاة) ويكون تقدير الجملة (اللهم صل على محمد واله كتشريفك ايانا به).
- المجاز/ أما اما المجاز الذي هو استعمال الكلام في غير ما وضع له أي غير معناه

الاصلي فنرى الامام عليه السلام يستعمله في اعلى درجته ومن غير تكلف به ويجعل الكلام اكثر رونقا وجمالا وتأثيراً في النفس فيقول (اللهم صل على محمد وال محمد وكد لنا ولا تكد علينا وامكر لنا ولا تمكر بنا) فنجد هنا علاوة على الفن البديعي الموسوم ب طباق السلب وفن البديع الملحق بالجناس من نوع الاشتقاق كد ولا تكد وامكر ولا تمكر وقد استعملت لفظه الكيد والمكر بمعنى الارادة والتدبير وهو مجاز وعلاقه المشابهة وهو ما اطلق عليه الاستعارة لان الكيد والمكر لا يستعملان بمعناهما الحقيقي في شان الباري سبحانه لأنه منزه عن ذلك ولذلك جاءت لفظه كد بمعنى التدبير والتنسيق للوصول لغايه وهدف ومثلها في القران الكريم في سوره يوسف أيه ٦٧ ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي دبرنا ليوسف ونسبه الكيد والمكر هنا إلى الله تعالى هي من نوع الاستعارة التبعية وهي ايضا تصريحيه أو استعاره مطلقه. المصدر: بلاغه الامام علي بن الحسين عليه السلام جعفر عباس الحائري، مؤسسه الامام الهادي، ص٦٦.

- السجع: اما السجع في ادعيه الامام عليه السلام فهو بدون شك شاهد على مدى قدره الامام العجيبة والنادرة في خلق الفن العالي في التلفظ والسجع هو للنثر كالقافية للشعر وهو من علامات السيطرة والاستاذية للشاعر الاديب الذي يستطيع ان يزين حديثه بالزينة اللفظية بلا عناء ومشقة وبغير تكلف كي يقع جرسه في الاذن موقعا لينا ويجري على الألسنة هينا لينا. وهنا عبر السجع عن مفاهيم قيمه ومعان مؤثره في النفس وهو في دائرة السجع وقوالبه دون ان يحس بالعناء أو يتلى بالضعف أو العجز في انتخاب أو تأليف الاصطلاحات والتراكيب فيقول عليه السلام (ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة وان يستحوذ علينا الشيطان أو ان ينكبنا الزمان أو يتهضمنا السلطان ونعوذ بك من تناول الاسراف ومن فقدان الكفاف ونعوذ بك من شماته الاعداء ومن الفقر إلى الاكفاء) ثم يبدع سجعا اخر فيقول (اخرت وانت مستطيع للمعاجلة وتانيت وانت ملئ بالمبادرة لم تكن اناتك عجزا ولا امهالك وهنا بل لتكون حجتك ابلغ وكرمك اكمل)! ثم ان المسالة الملفتة للنظر هنا هي فن الموازنه حيث ان المتحدث يستطيع بواسطته ان يتحرك في مساحه اوسع وابعد من ميدان التصرف في الكلمات والالفاظ وان يكون اكثر حريه في اختيار الالفاظ في نهايه الفقرات وفواصل العبارات وهذه نلحظه بغزاره في الصحيفة السجادية هذا

وان اختيار الالفاظ في السجع أو في الموازنة يجري لاستعمال ألفاظ خفيفة رشيقة وبسيطة سلسة وهذا لا يكون ا لا لكن العاء يقتضي تطابقا مع مقتضي الحال كذلك التقيد بالبساطة والسهولة في الشمول التصرف. المصدر: جواهر البلاغة، السيد احمد الهاشمي، طبعه ١٢، بيروت، ص٣٤.

- ثم لنعرج على سجع من نوع اخر الا وهو السجع المرصع الذي يتحد فيه علاوة على فواصل الفقرتين جميع الفاظ الفقرات مع بعضها في الوزن والقافيه معا وهذا يعد من افضل انواع السجع مثل:

ووالى فيك الابعدين وعادى فيك الاقربين

واجعلنا من عبادك الداعين اليك وهداتك الدالين عليك

رقت فيه القلوب ووهنت فيه الذنوب

يامن يرحم من لا يرحمه العباد ويامن يقبل من لا تقبله البلاد

- الجناس/ ثم لنأخذ الان الجناس يامن لا تفنى خزائنه المسائل ويامن لا يبدل حكمته الوسائل! ان بين (المسائل والوسائل) جناس مضارع وايضا تحيي به ما قد مات وترد به مال قد فات فيوجد بين ما ومات جناس ناقص وبين مات وفات حناس لاخق ومثله أيضاً (لا ينقص من زاده ناقص ولايزيد من نقص منهم زائد) والعكس بالتبديل وابداع لغوي اخر (لا فاتح لما اغلقت ولا مغلق لما فتحت) وهنا فن التصدير أو رد العجز على الصدر.
- الاكتفاء/ بقوله عليه السلام (متى نؤدي شكره لا متى)حيث كان في الاصل (لا متى نؤدي شكره) ولكن بسبب عدم الاحتياج إلى ذكر ذلك حذفت الجملة الأخيرة. المصدر: التلقي للصحيفة السجادية (دراسة تطبيقيه في النقد العربي الحديث) حيدر محمود شاكر الجديع، العتبة الحسينية المقدسة، ص٨٦.
- مراعاه النظير/ حيث يقول عليه السلام (ومشيعي الثلج والبرد والهابطين من قطر المطر إذا نزل والقوام على خزائن الرياح) حيث يوجد بين الثلج والبرد والمطر والرياح مراعاه النظير. ثم اخيرا نجد القرة الفائقة على التصوير الحسي الدقيق الذي يجسد الفكرة أو الاحساس ويحركهما حتى يشخصهما في العين وتمتلئ به الحواس

والنفوس فيقول عليه السلام (اللهم فارحم وحدتي بين يديك ووجيب قلبي من خشيتك واضطراب اركاني من هيبتك وابسط علي طولك وجللني بسترك) ثم يتعوذ بالله سبحانه من النار فيقول (اعوذ بك من عقاربها الفاغرة افواهها وحياتها الصالقة بأنيابها وشرابها الذي يقطع امعاء وافئدة سكانها وينزع قلوبهم) ثم نجد طواعية الاستجابة اللغوية في مجالات الوصف بما يجعل الموصوف يكبر ويعمق ويتلون ويتحرك ويستفيض ويتسع لألوان النفس الداعية فيقول (اللهم اسقنا سقيا تسيل منه الظراب وتملأ منه الجباب وتفجر به الانهار وتنبت به الاشجار وترخص به الاسعار في جميع الامصار.... وتزيدنا به قوة إلى قوتنا) ومثل هذا يبدو ايضا في معرفته العميقه بصفات الخير والجمال في النفس ومعرفته بما يكدرها ويدل على معرفته بالنفس الإنسانية في احوالها المختلفة (اللهم اغنني واوسع علي في رزقك ولا تفتني بالنظر واعزني ولا تبتليني بالكبر وعبدني لك ولا تفسد عبادتي وهب لي معالي الاخلاق واعصمني من الفخر) وكما ونزيد هنا ان التعبير في الأدعية السجادية مقدود على قد الفكرة أو قد الاحساس يسعهما بوضوح على سعه المضمون ودقته وانفراج اطرافه فيناجي ربه بقوله (اللهم طيب بقضائك نفسي ووسع بمواقع حكمك صدري وهب لي الثقة لأقر معها بان قضاءك لم يجر الابالخيرة واعصمني من ان اظن بذي عدم خساسة أو اظن بصاحب ثروه فضلاً فان الشريف من شرفته طاعتك والعزيز من اعزته عبادتك فصل على محمد واله) وكذلك من بيان الروعة في ادب ادعيه الامام السجادية في الصحيفة السجادية ورساله الحقوق ورساله الزهد ان اطنب ببلاغه معجزة في وصف الجنة والناروالنعيم والعذاب والاخرة والدنيا والخير والشر والايمان والفسوق تشويقا وتهويلا والاطناب في فلسفة اللغه من ارقى مراتب البلاغة ومن اروع صورها ووجوهها والهدف منه هو ترغيب الناس لعمل الخير والبر بالناس وبانفسهم وزجرهم عن ارتكاب الشر والابتعاد عن القبيح الحرام.

انها حقاً ملحمة من الابداع اللغوي والتعبيري الرائع! المصدر: بلاغه الامام علي بن الحسين عليه السلام، المصدر نفسه، ص١٣٢.

إبداع الامام السجاد في دعاء يوم عرفة:

هو الدعاء السابع في الصحيفة السجادية وهو اطول الادعية فيها ويتكون من مائه وثلاث وثلاثين مقطعا ومفاهيم وتعاليم هذا الدعاء تتمركز حول المعارف الالهية والصلاة على النبي واله ومعارف حول الائمة والاقرار بالخطايا وطلب الحوائج ولنلخص معا ابداعاته حليه السلام ونحن نتجول بين رياحينه ونقتطف بعض ازهار حفيد رياحنه المصطفىﷺ.

المعارف الإلهية (وحدانية الله سبحانه) (انت الله لا إله الا أنت) عشر مرات تنزيهه (سبحانك اللهم)عشر مرات حمده (لك الحمد) ثماني عشر مرة الصلاة على النبي واله (صلاة زاكية لا تكون صلاة ازكى منها صلاة ترضيه وتزيد على رضاه) الامام السجاد خص النبي محمدﷺبالصلاة في هذا الدعاء عشر مرات وان هذه الصلاة منعوته بأوصاف تكون هي الاكمل والامثل والافضل والأزكى من نوعها (رب صلِّ على محمد واله)

معارف حول الائمه عليهم السلام فمن المعارف والقضايا المهمة التي ابدعها الامام في هذا الدعاء المبدع خصائص الائمه ونوجزها بما يأتي: المصطفون (الذين اخترتهم لأمرك..) خزان علمك (جعلتهم خزنة علمك..) حفظة دينكو حفظه دينك..) خلفاء الله (وخلفاءك في ارضك..) المعصومون والمطهرون (وطهرتهم من الرجس والدنس..) حجج الله (وحججك على عبادك..) وسيلة النجاح والفلاح (وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك إلى جنتك..) ملاذ الورى (عصمة اللائذين..) ملجأ المؤمنين (كهف المؤمنين..) حبل الله (وعروة المتمسكين..).

ثم اشار عليه السلام إلى قضايا غايه في الأهمية في الجانب العقائدي والسياسي ونبرز منها: مقام الخلافة وامارة المسلمين تختص باهل البيت عليهم السلام فقط، ان الائمه مطهرون من كل دنس ورجس فينبغي ان يكونوا الوسائط بين الله سبحانه وخلقه، واوجب الله طاعتهم على الخلق كلهم، ولا يعز الدين الا بأمام معصوم منصوص من الله تعالى.

طلب الحوائج وهنا يقسم الامام على الله تعالى بالمقربين من خلقه ليطلب حوائجه التي هي حوائج الأمة جمعاء وبها صلاحهم واستقامة امور دينهم ودنياهم وهي: نعمة الولاية (وتولني بما تتولى به اهل طاعتك)، الفرصة للتوبة وطهارة النفس، الانتباه (ونبهني من رقدة الغافلين وسنة المسرفين ونعسة المخذولين) التوجه إليه (وخذ بقلبي إلى ما استعملت به

الفانتين)، القربة (واعذني بما يباعدني عنك)، التوفيق لعمل الخير (وسهل لي مسلك الخيرات اليك)، النجاة من الفتن (ونجني من غمرات الفتنة)، حفظ القلب (واشعر قلبي الازدجار عن قبائح السيئات)، الابتعاد عن حب الدنيا (وانزع من قلبي حب دنيا دنية تنهي عما عندك)، النجاة والسعادة في يوم الحشر (ولا تخزني يوم تبعثني للقائك)، حبب الي لقائك (واجعل رغبتي اليك فوق رغبة الراغبين)، الحياة الطيبة (فأحييني حياة طيبة) المصدر: منهج الامام السجاد جهاد وامجاد ،حسين الحاج حسن، دار المرتضى، ص١٢٢.

قمة الابداع الكلي في رساله الحقوق:

بعد الانتكاسة التي حلت بالمجتمع الانساني في واقعه الطف المفجعه كان لابد من ايجاد دستور إسلامي انساني يكفل جميع الحقوق في المجتمع ويكون مصدرا لكسب العلم والمعرفه في نفس الوقت وبيان السلوك الذي يجب ان يسير عليه المجتمع في مختلف الامور الاجتماعية والسياسة والتربوية والفكرية والادبية والاخلاقية ولم تكن رساله الحقوق السجادية إسلاميه فحسب بل انسانيه حيث تطرقت إلى حقوق اهل الذمة مثلما تطرقت إلى حقوق المسلمين. ولقد استهدف الامام امورا مهمه واغراضا بعيده عديده في ما تنوع من ادعيه الصحيفة السجادية بمناسباتها الزمانية وظروفها المكانية والحوادث والاشخاص والموجودات المختلفة التي كانت محورا لكلامه بدءا بالخالق ومرورابالملائكه والانس والجن والشيطان وختاما بالحشر والمعاد والقيامه والجنه ونعيمها الخالد وما يوازي كلا من ذلك أو يلحقه من شؤون. وقد قال عنها السيد محمد صادق الصدر.

(وكان اول من لفت الانظار فقد نشط في جهاده نشاطا عظيما منقطع النظير فكان يلقي على الأمة بآرائه الإصلاحية تارة عن طريق المناجاة وطورا عن طريق القلم وهذه رساله الحقوق املاها عليه السلام دستورا عاما يتضمن كل ما يحتاجه البشرية من حقوق فلم يترك حقا من حقوق الله على عباده أو حقوق العباد بعضهم على بعض الا ذكره ونبه عليه وقد قدم الاهم فالاهم من هذه الحقوق ببيان رائع ومنطق لا يقبل الرد ولا اسلوبا رائعا وفكرا صالحا للمجتمع اصلح من فكر الامام عليه السلام وهي مواضيع عامه منبعثه عن حاجات المجتمع الانساني يصلح تطبيقها والسير على نهجها في كل زمان وهي تكفل للناس السعادة والهناء في الدارين). المصدر الصحيفة السجادية في معانيها الجلية، نبيل شعبان، أنوار الزهراء، ص٥٦.

وكانت رسالة الحقوق بمثابه تربيه اجتماعية لمختلف طبقات المجتمع وحفظ الحقوق

وقسمها إلى سبعة اقسام وهي واحد وخمسون حقامحيطه بالانسان ولايخرج عنها في حال من الاحوال يجب عليه رعايتها والعمل على تأديتها وهي (حق الله سبحانه وتعالى، حقوق الاعضاء، حقوق الافعال، حقوق الائمه، حقوق الرعية، حقوق الرحم، حقوق الناس).

ثم قسّم حقوق الاعضاء إلى حق النفس وحق اللسان وحق السمع وحق البصر وحق الرجل وحق اليد وحق البطن وحق الفرج. واما حقوق الافعال فتقسم إلى حق الصلاة وحق الصوم وحق الحج وحق الصدقة حق الهدي. واما حقوق الائمه فقسمها إلى حق السلطان وحق المعلم وحق المالك. واما حقوق الرعية فقسمها إلى حق حق الرعية وحق الرعية بالعلم وحق الزوجة وحق المملوك. وأما حقوق الرحم فقسمها إلى حق الام وحق الاب وحق الولد وحق الاخ.

وأما حقوق الناس فقسمها إلى حق المنعم بالولاء وحق المولى الجاريه عليه نعمتك وحق ذي المعروف وحق المؤذن وحق الامام وحق الجليس وحق الجاروحق الصاحب وحق الشريك وحق المال وحق المال وحق الغريم وحق الخليط وحق المدعي وحق المدعى عليه وحق المستشير وحق المشيروحق المستنصح وحق الناصح وحق الكبير وحق الصغير وحق السائل وحق المسؤول وحق من سرك وحق من اساء القضاء وحق اهل المله وحق اهل الذمة. المصدر: رسالة الحقوق للإمام السجاد، علي فاخر الجزائري، دار الهادي، ص١٤٥.

ولنمر مرورا سريعاً بمقاطع بليغه من رساله الحقوق السجادية ومن ثم نقارنها بالإعلان العالمي لحقوق الانسان فيقول عليه السلام (اعلم رحمك الله ان لله عزّ وجل عليك حقوقا محيطه بك في كل حركه تحركتها أو سكنه سكنتها أو منزله نزلتها وأكبر حقوق الله عليك انه اوجب لنفسه تبارك وتعالى وما اوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك ثم حقوق ائمتك وحقوق رعيتك وحقوق رحمك فأوجب عليك حق امك وحق ابيك ثم حق ولدك وحق اخيك ثم الاقرب فالأقرب).

(وأما حق اهل الذمة فالحكم فيهم ان تقبل منهم ما قبل الله وتفي بما جعل الله لهم في ذمته وعهده وتكلهم اليه في ما طلبوا من انفسهم وتحكم فيخم بما حكم الله به على نفسك في ما جرى بينك وبينهم من مماطله) وهذا يعني ان المقياس الاول والاخير بينك وبين الناس هو حدود الله فلا مجال للاهواء والمصالح والمتغيرات ولا حق(الفيتو) الذي يتوارى خلفه اصحاب المصالح والاهواء ولا توظيف نصوص تكيل الامور بمكيالين وميزانين مختلفين!!

إن رساله الحقوق توجهت إلى النفس الإنسانية مباشره وراحت تعالج ادق التفاصيل التي تعتمل في سريره الفرد ودخيلته أي ليس كما جاء في الاعلانات العالمية المعاصرة لحقوق الانسان والتي دونت في العاشر من كانون الاول ١٩٤٨والتي اعتبرت افضل وثيقه عالميه اصدرت على (ان الناس متساوون في الكرامه والحقوق وانهم وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعاملوا بروح المودة والمساواة والاخاء).

واكدت المادة الثانية على مساواه الناس في الحريات واكدت المادة الثالثة والرابعة والخامسة على حق الفرد في الحياه والامن وعدم جواز الرق والتجارة فيه ورفض التعذيب وحق التجنس والهجرة وحق اللجوء.....الخ. المصدر: شرح رساله الحقوق للإمام زين العابدين، (حقوق الناس)، نعيم قاسم، دار الهادي، ص٧٠.

إن هذه الحقوق التي وقعت عليها اغلب الدول العالمية لم توضع موضع التنفيذ ان لم نقل تم تجاوزها في عموم دول العالم وانها بقيت حبرا على ورق لأنها لم تشد الانسان إلى خالقه أولاً ولأنها جاءت من فوق الانسان وليس من داخله ولأنها اهتمت بالطرح المفاهيمي دون التأكيد على المصاديق واكدت على الحكومات والشعوب دون النظر إلى الفرد والنفس البشرية على عكس ما قاله أو فعله الامام صاحب رساله الحقوق الذي اهتم ببسريره الانسان ودخيلته وعلاقته مع ربه وصولا إلى عمليه التغيير الكبرى في اطار الأمة والمجتمع فهو عليه السلام يقول ان افضل الجهاد عفه البطن والفرج فانما يدعو إلى ترسيخ اعظم القيم في النفوس أي إلى تهذيب هاتين الشهوتين اللتين بسببهما تعلن الحروب وتنشب المعارك وترفع رايات الاقتتال على مستوى الافراد والشعوب. المصدر: شرح رساله الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام حسن القبانجي، مؤسسة الأعلمي، ص١٤١.

الخاتمة:

بعد صلح الامام الحسن عليه السلام وثوره الامام الحسين عليه السلام احتاج المجتمع الإسلامي إلى دعاء الامام زين العابدين والى الدعاء معه عليه السلام وهذه الاختبارات اتت تنفيذا لوحي مؤجل فلقد تنزل القران الكرين على النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله تشريعا سماويا وكان لابد من حرس للقران بعد غيبة النبوة مع معصومين لهم عرفان فأتى الامام علي عليه السلام وفسر بخطبه وحكمه المعرفة الإلهية واوضح طريق النبوات وفصل الاحكام الإسلامية وتوالى الحسن والحسين

وزين العابدين عليه السلام جميعا يحمون الشريعة والقران وينفذون وصايا يبلغوها عن النبي بتسلسل الاباء والابناء والاحفاد ائمة اتصل حبلهم بحبل الله ونفذ الائمه عليهم من الله ومنا الاف التحية والسلام ما بلغوا من امام إلى امام وحفظوا الامانة وغذوا الدين بالتضحيات... والشهادة.. والدعاء.. والعلم.. والفقه والغيبة. فيقول الامام زين المبدعين في احدى روائعه (اللهم انك ايدت دينك في كل اوان بأمام اقمته علما لعبادك ومنارا في بلادك بعد ان وصلت حبله بحبلك).

لقد تصفحنا ابداعات الدعاء مع المبدع الامام علي بن الحسين عليه السلام ولقد عشنا معه وهو يناجي ربه وهو يبتهل وهو يدعو وهذه الأدعية في الصحيفة السجادية هي كتاب مهم يجمع رؤوس تعاليم الإسلام السمحاء ووجهته نحو التسلح بالعلم والفكر والمعرفة وهي مرجع مهم في ادب الاجتماع و الاقتصاد والسياسة والعلوم الحياتية وادب النفس كل ذلك تم من خلال الدعاء والمناجاة مع الخالق البارئ! وهي دستورا انسانيا تناول فيه جميع الحقوق والواجبات صغيرها وكبيرها بدءا من حقوق الله جل وعلا وانتهاءً بأبسط الحقوق الدنيوية والأخروية تستجيب لنداء الانسان وتتناغم مع فطرته التي خلق عليها ويتكفل تطبيقها سعادة الانسان ورقيه إلى اعلى درجات الكمال والابداع الإنساني. وهي ايضاً كتابا في اللغة يلم مفرداتها ويدرك من يقرؤها بقلبه لا بلسانه من انها معجما لغويا وتكشف له الكثير من اسرار بيانها وقدراتها في التعبير والتصوير. هذا وان الصحيفة في اعم اغراضها واهمها تتوجه إلى تربيه الانسان على خلق القرآن والنبوة بما يجعلها ايضا كتابا في التربية والتوجيه من خلال اللغة في بلوغ هذا الغرض من حيث بلوغ التأثير وتحسين النفوذ وتقويه الادراك وارهاف الفهم. وختاماً اتقدم بالاعتذار من الامام السجاد عليه السلام والذي تسجد عنده معاني العز والبهاء والالسن تكل والاقلام تعجز! وانه لمنهل عذب بعلومه ومعارفه وغرس اثيل كبير بمقامه وثماره يشرح صدور المؤمنين برونقه ويروح ارواحهم بألفاظه! لاني اشعر باني لم اعطه حقه في الوصول إلى ابداعه الرباني الحقيقي ولم اقترب من سواحل قممه الروحية والتي تغطيها دموعه الساخنة ولهفاته اللاذعة والغنية بالكمال الانساني والروحانية والهداية! واجمل ما اختتم به بحثي هذا قول الامام زين العابدين وزين المبدعين (سبحان من جعل الاعتراف بالعجزعن الشكر له شكرا) فسلاماً عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

هوامش البحث ومصادره

١- القران الكريم

٢- الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، عبد الودود الامين، دار التوجيه الإسلامي.

٣- بكاء الامام السجاد عليه السلام (اسرار ونتائج)، زهير يوسف الدروة، دار المحجة البيضاء.

٤- شرح رساله الحقوق للإمام زين العابدين، نعيم قاسم، دار الهادي.

٥- رساله الحقوق للإمام السجاد، علي فاخر الجزائري، مكتبه ودار مخطوطات العتبه العباسيه المقدسه

٦- الامام زين العابدين القائد الداعية الانسان ،محمد حسين علي الصغير، مؤسسة العارف للمطبوعات.

٧- حياه الامام علي بن الحسين عليه السلام (زين العابدين)

٨- سيرة الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عند الجمهور، رسول كاظم عبد السادة، العتبة الحسينية المقدسة.

٩- حياه الامام زين العابدين عليه السلام عبد الرزاق الموسوي المقرم ،انتشارات المكتبة الحيدرية.

١٠- سياسه الحرب في دعاء اهل الثغور، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات

١١- الامام زين العابدين عليه السلام عنقود مرصع، سليمان كتاني، بيروت

١٢- بلاغه الامام علي بن الحسين عليه السلام،جعفر عباس الحائري، مؤسسة الامام الهادي

١٣- منهج الامام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود، دار الهادي

١٤- المعصومين الأربعة عشر الامام زين العابدين عليه السلام، لجنه التحرير دار الحسين

١٥- الامام السجاد جهاد وامجاد، حسين الحاج حسن، دار المرتضى

١٦- الصحيفة السجادية في معانيها الجلية، نبيل شعبان ، انوار الزهراء

١٧- في رحاب الامامين السجاد والباقر عليهما السلام، فوزي ال سيف، دار المحجة البيضاء

١٨- شرح رساله الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، حسن القبانجي، مؤسسه الأعلمي.

١٩- التلقي للصحيفة السجادية (دراسة تطبيقيه في النقد العربي الحديث)، حيدر محمود شاكر الجديع، العتبة الحسينية المقدسة.

٢٠- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، بيروت، طبعه١٢.